روايات مصرية للجيب

رجل المستحيل

الفهد الأبيض

٥٦

باسل

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

رجل المستحيل ● الفهد الأبيض ● ٥٦ ● المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة ●

المؤلف



د. نبيل فاروق

رجل المستحيل
سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

٥٦

الثمن فى مصر
ـــ

وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

الفهد الأبيض

- ما سر ذلك الفهد الأبيض ، الذى تتحدّث عنه (أمستردام) كلها ؟
- كيف تحوَّل (أدهم صبرى) من رجل مخابرات إلى لصّ ؟.
- تُرى .. أيربح (أدهم صبرى) هذه اللعبة العجيبة ، أم يربحها الفهد الأبيض ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، لترى كيف يعمل (رجل المستحيل) .



العدد القادم : عملية الأدغال

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ـ اللصّ ..

ارتسمت ابتسامة واسعة على شفتى (قدرى) ، خبير التزوير فى إدارة المخابرات العامة المصرية ، حينما رأى المقدّم (أدهم صبرى) ، وهو يدلف إلى حجرتــه فى هدوء ، وابتسامته تزيّن شفتيه ، ولوّح بذراعه فى ودّ واضح ، وهو يقول فى مرح :

ـ كيف حالك يا صديقى العزيز ؟.. أما زلت تصرّ على مواصلة تدريبات إطلاق النار ؟

ضحك (أدهم) وهو يقول :

ـ بالطبع يا صديقى البدين ، فلقد قرّرت إطلاق النار على كرشك الضخمة ، وأنا أخشى أن أخطئ الهدف

قهقه (قدرى) ضاحكًا فى مرح ، وقال وهو يربّت على كرشه الضخمة فى فخر :

ـ (أدهم صبرى) يخطئ إصابة الهدف ؟!.. يا لها من مزحة !! الجميع هنا يعلمون أنك قادر على إصابة باعوضة فوق

أنف طفل فى الخامسة من عمره ، وتحتفظ بابتسامته فى الوقت ذاته .

ضمَّ (أدهم) قبضته اليمنى ، وفرد سبَّابتها وإبهامها ، وكأنه يمسك مسدسًا ، ودسّ سبَّابته فى كرش (قدرى) ، وهو يقول فى لهجة مداعبة :

ــ ولكن كرشك تختلف يا صديقى ، فهى تمتلئ بكمية من النشويات تجعلها تشبه جدارًا من الخرسانة المسلَّحة ، وأشك فى قدرة رصاصاتى على اختراقه .

عاد (قدرى) يقهقه فى مرح زائد ، وقد راقت له دعابة (أدهم) ، ثم أزاح سبابة هذا الأخير ، وهو يقول :

ــ حذار إذن أن تخترقها بأصابعك ، فهى أقوى من رصاصاتك .

ضحك (أدهم) وهو يربِّت على كتف صديقه العزيز ، ثم جذب مقعدًا صغيرًا ، وجلس أمام (قدرى) ، وهو يسأله فى جِدِّيَّة مفاجئة :

ــ كيف حال أصابعك يا (قدرى) ؟.. أما زالت تحمل لقب (أبرع مزوِّرى العالم) ؟

أومأ (قدرى) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ــ يسعدنى أنها كذلك يا صديقى ، فعلى الرغم مما فعله بها أوغاد (المافيا) ، إلَّا أنها نجحت فى صفعهم على مؤخرات أعناقهم ، واستعادت كل براعتها(*) .

ابتسم (أدهم) وهو يقول :

ــ هذا يسعدنى يا صديقى .

ثم عاد يستطرد فى جدية :

ــ هل يرُوق لك السفر إلى (أمستردام) ؟

تطلَّع إليه (قدرى) لحظة فى دهشة ، ثم لم يلبث أن استند إلى مقعده فى هدوء ، وابتسم وهو يقول :

ــ حسنًا يا صديقى .. ما نوع المهمة بالضبط .

ابتسم (أدهم) وهو يقول فى هدوء :

ــ عملية سطو .

مال (قدرى) إلى الأمام فى دهشة مباغتة ، وهو يكرِّر :

ــ سطو ؟!

تنهَّد (أدهم) ، وحافظ على ابتسامته ، وهو يجيب فى هدوء :

ــ نعم ياصديقى .. عملية سطو بأمر المخابرات العامة المصرية .

(*) راجع قصة (الرصاصة الذهبية) .. المغامرة رقم (٤٧) .

لوَّح (قدرى) بكفه ، وهو يقول فى لهفة وجذل :

ــ علىَّ بالتفاصيل يا صديقى العزيز .. لقد أثرت شهيتى .

تراخى (أدهم) فى مقعده ، وأرخى جفنيه على نحو يوحى بالتكاسل ، وهو يقول :

ــ سأخبرك يا صديقى العزيز .. لقد بدأ الأمر كله فى مكتب السيد المدير منذ ساعة واحدة ..

* * *

رفع مدير المخابرات المصرية عينيه ، يتأمَّل (أدهم) الذى يقف أمامه هادئًا ، ثم أشار إلى المقعد المقابل لمكتبه ، وهو يقول :

ــ اجلس يا (ن ــ ١) ، فلدىَّ مهمة جديدة لك .

جلس (أدهم) فى هدوء ، وهو يقول بابتسامة مشرقة :

ــ على الرّحب والسعة يا سيِّدى .

لم يستطع مدير المخابرات منع ابتسامة الإعجاب التى تألَّقت فوق شفتيه ، وهو يتطلَّع إلى (أدهم) ، فقد دأب هذا الأخير على إثارة إعجابه دومًا ، باستعداده المتيقِّظ للعمل فى أية لحظة ، وحماسه الذى لا يفتر أبدًا ، مهما كانت الظروف والعقبات ، وابتسامته التى تسخر دومًا من المخاطر والأهوال ..

ثم تلاشت ابتسامة مدير المخابرات ، مع ذلك الاهتمام الشديد الذى تبدَّى فى ملامحه ، وهو يعقد حاجبيه ، ويميل نحو (أدهم) ، قائلًا :

ــ ألديك أيَّة دِراية بالفن يا (ن ــ ١) ؟

هزَّ (أدهم) كتفيه ، وهو يقول فى هدوء :

ــ معلوماتى لا تعدُو ما يملكه أى إنسان عادى يا سيِّدى .

مطَّ مدير المخابرات شفتيه فى أسف ، ثم اعتدل فى مقعده ، وشبَّك أصابع كفَّيه أمام وجهه ، وهو يقول :

ــ ستحتاج إلى مجهود كبير إذن ، لتتحوَّل إلى خبير إذن يا (ن ــ ١) .

ضحك (أدهم) وهو يقول :

ــ خبير فى الفن ؟!.. هل ستفتتح المخابرات العامة معرضًا فنيًّا يا سيِّدى .

ابتسم مدير المخابرات ، وهو يقول فى هدوء :

ــ بل سنسطو على واحد يا (ن ــ ١) .

عقد (أدهم) حاجبيه ، ولم ينطق بكلمة واحدة ، وإنما اكتفى بالاستماع إلى مدير المخابرات ، وهو يستطرد فى اهتمام :

ـ منذ أكثر من عام ، حصلت بعثة هولندية على تصريح بالتنقيب عن الآثار ، فى منطقة وادى الملوك بالأقصر .. ولقد أقرَّ أفراد البعثة بمعرفتهم للقانون المصرى ، الذى يعتبر كل الآثار مملوكة للدولة ، وأعلنوا أنهم يوافقون على هذا القانون ، ويلتزمون به ، وأن غايتهم تقتصر على تحقيق الكشف العلمى الأثرى فحسب ، ولقد التزم أفراد البعثة حقًّا بذلك طوال العام الذى أعقب حصولهم على التصريح ، ولكن التزامهم هذا لم يلبث أن تبخَّر حينما عثروا على (الفهد الأبيض) .

غمغم (أدهم) ، وهو يتابع حديث مدير المخابرات فى اهتمام :

ـ الفهد الأبيض ؟!

أومأ المدير برأسه إيجابًا ، ثم تابع فى هدوء :

ـ إنه عبارة عن تحفة دقيقة ، بالغة الروعة والكمال ، صاغتها يد نحَّات بارع من أجدادنا قدماء المصريين ، تمثِّل فهدًا شرسًا يستعد للانقضاض على فريسة ما ، بكل تفاصيله الدقيقة ، ومصنوع من قطعة واحدة من العاج الناصع البياض ، ويعود إلى عهد الأسرة السادسة الفرعونية .

قال مدير المخابرات هذا ، وهو يناول (أدهم) صورة

فوتوجرافية ، لم يكد (أدهم) يتطلَّع إليها حتى ارتفع حاجباه فى إعجاب وانبهار ، فقد كانت صورة للفهد الأبيض ، الذى بدا رائعًا جذَّابًا ، مما دفع (أدهم) إلى الهتاف :

ـ يا إلٰهى !!.. سأقتلهم لو أنهم سرقوا منا تلك التحفة الرائعة .

استعاد مدير المخابرات الصورة الفوتوغرافية ، وهو يقول :

ـ لقد فعلوا للأسف يا (ن ـ ١) ، فلم يكد عالم الآثار المصرى المصاحب للبعثة الهولندية يلتقط صور (الفهد الأبيض) ، ويسرع لإبلاغ الخبر ، حتى اختلس رئيس البعثة الهولندى (فان ديك) التمثال ، وأسرع به إلى فندقه ، حيث التقط حقيبته ، واستقلَّ أول طائرة إلى القاهرة ، ومنها إلى (أمستردام) ، قبل أن ينتبه أحد إلى سرقته لذلك الأثر الهام .. ومن السخيف أن موظفى المطار رأوا (الفهد الأبيض) فى حقيبته ، ولكن أحدهم لم يتصوَّر أنه تحفة أثرية ، وإنما تصوَّروه مجرَّد تمثال أنيق ، ابتاعه الرجل من (خان الخليلى) كعادة السيَّاح وتركوه يرحل به إلى وطنه .

غمغم (أدهم) فى ضيق :

ـ يا للأسف !!

ثم التفت إلى مدير المخابرات ، يسأله فى اهتمام :

ـ ولكننا سنحاول استعادة فهدنا الأبيض يا سيِّدى .. أليس كذلك ؟

هتف المدير فى حماس :

ـ بلا شك يا (ن ـ ١) .

ثم عاد إلى هدوئه ، وغمغم فى ضيق :

ـ ولكن الأمر لن يكون بالسهولة التى تتصوَّرها يا (ن ـ ١) ، فالتمثال الآن موجود فى متحف الفن بـ(أمستردام) ، ويحاط هناك بوسائل أمن شديدة التعقيد ، حيث سيعرض للجمهور بعد أسبوع واحد ، وقد سبقت ذلك حملة دعائية ضخمة جعلت (أمستردام) كلها تتحدَّث عنه ، وتنتظر لحظة افتتاح المعرض فى لهفة وشغف .

ساد الصمت لحظة ، ثم غمغم (أدهم) فى هدوء :

ـ اطمئن يا سيِّدى .. سنستعيد التمثال بإذن الله .

ابتسم المدير ، وقال :

ـ هذا ما نأمله جميعًا يا (ن ـ ١) ، ولكننا لا نملك خطَّة معيَّنة لذلك ، فلابدَّ من دراسة أرض المعركة أولًا ؛ لذا فقد نجحنا فى حجز ثلاث تذاكر لحفل افتتاح المعرض ،

وسيكون عليك أنت و (منى) ، ومن ترغب فى الحصول على معاونته أن تذهبوا إلى هناك ، وسيكون عليكم وضع الخطة وتنفيذها على النحو الذى تسمح به الأمور ، ولكم مطلق الحرية فى التخطيط والتنفيذ ، على ألا يتسبَّب ذلك فى مشاكل ديبلوماسية مع الحكومة الهولندية .

تألَّقت عينا (أدهم) ، وابتسم فى ثقة ، وهو يقول :

ـ اطمئن يا سيِّدى .. اطمئن .

* * *

استمع (قدرى) إلى (أدهم) فى اهتمام ، ثم تهلَّلت أساريره ، وهو يقول :

ـ هل تعنى أنك تريد منِّى أن أحصل على التذكرة الثالثة يا صديقى ؟

هزَّ (أدهم) كتفيه ، وهو يقول فى هدوء :

ـ إذا ما كنت ترغب فى ذلك يا (قدرى) .

هتف (قدرى) فى مزيج من الجذل والحماس :

ـ أرغب فى ذلك ؟!.. إننى أتحرَّق شوقًا له يا صديقى العزيز .

ثم مال نحو (أدهم) ، واستطرد فى مرح :

— وأراهن أنك قد وضعت خُطَّتك .. أليس كذلك ؟

ابتسم (أدهم) وهو يقول :

— نصفها فقط يا صديقى .

أطلق (قدرى) ضحكة مرحة ، وهو يقول :

— هذا رائع ..

ثم قفز إلى بضعة أرفف ، تحمل بعض الكتب الصغيرة الحجم ، والتقط من بينها واحدًا ، أخذ يطالعه فى اهتمام ، مما جعل (أدهم) يسأله ضاحكًا :

أتحاول دراسة اللغة الهولندية ؟

أشار (قدرى) إلى الكتاب فى فخر ، وهو يقول :

— هذا أهم من اللغة الهولندية يا صديقى .

سأله (أدهم) فى حَيْرَة :

— ما هذا إذن ؟

تألّقت عينا (قدرى) فى جذل ، وهو يقول فى حماس :

— دليل المطاعم الفاخرة فى (أمستردام) يا صديقى العزيز .. إننا لا ننوى الموت جوعًا هناك .. أليس كذلك ؟

* * *

٢ — الخبير ..

تألّقت أضواء مصابيح التصوير ، فى القاعة الكبرى لمتحف الفن فى (أمستردام) ، وشخصت عيون الجميع فى اهتمام إلى العالم الأثرى (فان ديك) ، الذى نصب هامته فى فخر واعتداد ، أمام زوار المتحف ، وهو يقول لأحد الصحفيين فى فخر واضح :

— التحفة حقيقية بالطبع ، وهى تعود إلى عهد الأسرة السادسة الفرعونية ، حين كانت حضارة المصريين القدماء هى أعظم الحضارات ، وكنا نحن ننزوى فى ثوب الجهل والظلام .

سأله صحفى آخر فى شغف :

— وكم يبلغ ثمن (الفهد الأبيض) ؟

ابتسم (فان ديك) فى استهانة ، وكأنما يرى كل الحماقة فى السؤال ، وأجاب :

— من الخطإ السؤال عن القيمة المادية لتحفة نادرة ، مثل (الفهد الأبيض) ، فمثل هذه الأشياء لا تخضع للتقديرات

المادية وحدها ، فقيمتها الأثرية التاريخية لا تقدَّر بثمن ، ومن حسن الحظ أن عثرنا عليها سليمة تمامًا ، وكأنما نحتها صاحبها منذ أيام ، لا منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام .

ثم اكتسبت ابتسامته بعض الدهاء ، وهو يردف فى خبث :

ــ ولكن هذا لم يمنع الخبراء من تقديرها ماديًّا ، وهم يؤكدون أن ثمنها لن يقلّ عن عشرة ملايين دولار .

انطلقت شهقة عالية من صدور الجميع ، فى حين هتف صحفى آخر فى لهفة :

ــ وهل اتخذت إدارة المتحف ما يكفل الحماية ، لمثل هذه التحفة النادرة .

ابتسم (فان ديك) ، وقال وهو يشير إلى رجل طويل القامة ، يرتدى منظارًا طبيًّا ، ويقف صامتًا بشعره الأشيب منذ البداية :

ــ سأترك إجابة هذا السؤال للسيِّد (بروس) ، مدير متحف الفن .

اعتدل (بروس) ، وتنحنح فى اهتمام ، حينما اتجهت إليه أبصار الجميع ، والتمعت فى وجهه مصابيح التصوير ، ثم قال فى اعتداد :

ــ بالطبع .. لقد كفلنا لـ (الفهد الأبيض) حماية خاصة ، لم تتأتَّ لتحفة أخرى من قبل ، اللهم إلا لرائعة (دافنشى) (الموناليزا) .. ولست أكشف سرًّا حينما أقول إن هذه الحماية قد كلّفتنا ما يزيد على المليونى فلورين (*) بالإضافة إلى طاقم الحراسة التقليدى ، الذى يتكوَّن من سبعة حرَّاس مسلحين ، يملكون قدرة هائلة على مواجهة أى هجوم مسلَّح ، ويتبدَّل هذا الطاقم كل ست ساعات ، بحيث يكون متيقظًا دائمًا ومتأهبًا لصد أى هجوم .

انبرى صحفى يسأل فى اهتمام :

ــ وماذا عن اللصوص المحترفين ، الذين لا يستخدمون القوة ، بقدر ما يعمدون إلى الاحتيال والذكاء ؟

ابتسم (بروس) فى ثقة ، وهو يقول :

ــ من أجل هؤلاء بالذات دفعنا المليونى فلورين أيها السادة .

ثم لوَّح بذراعه فى حركة مسرحية ، وهو يستطرد :

ــ سيكون من سوء حظ أحدهم أن يفكِّر فى سرقة (الفهد الأبيض) .. فالقاعة التى وضعنا فيها تلك التحفة الرائعة تتوسَّط المتحف تمامًا ، ولها أربعة أبواب ، يطل كل منها

(*) الفلورين : هو العملة الهولندية ، وهى تساوى جنيهًا مصريًّا وعشرة قروش تقريبًا .

على جانب من جوانب القاعة الرئيسية بالمتحف ، ويقف لحراسة كل من هذه الأبواب الأربعة حارس خاص ، يمنع الدخول إليها بعد موعد الإغلاق ، والأبواب الأربعة تغلق أتوماتيكيًا فى تمام العاشرة مساءً ، وهى أبواب خاصة ، مضادة للرصاص والقنابل ، وحتى أشعة الليزر ، ولا يمكن فتحها إلا فى العاشرة صباحًا ، حيث تُفتح تلقائيًا ، لتقودنا إلى قاعة خالية ، إلا من قاعدة من المرمر الأسود ، يستقر فوقها (الفهد الأبيض) محاطًا بغطاء من الزجاج السميك ، والقاعدة المرمرية نفسها محاطة بمجموعة من الخلايا الضوئية الخفيَّة ، التى تتصل مباشرة بأجهزة إنذار فائقة الحساسية ، موزَّعة فى كل أركان المتحف ، ويتصل بعضها مباشرة بأقسام الشرطة المحيطة بالمتحف .. فلو فرضنا فى هذه الحالة أن لصًّا محترفًا نجح فى اجتياز الأبواب ، والوصول إلى قاعة (الفهد الأبيض) ، على الرغم من وجود الحرَّاس ، وهذا ما أراه مستحيلًا ، فسيجد نفسه فى قاعة فسيحة خالية ، لا يوجد ركن واحد فيها يصلح للاختباء ، وإذا ما حاول الوصول إلى التحفة نفسها ، فسيجتاز على الرغم منه حاجز الخلايا الضوئية ، وهنا تنطلق صفارات الإنذار ، وتسقط تلقائيًا

حواجز معدنية سميكة أمام الأبواب ، فيجد نفسه سجينًا هناك .. ولو قلنا – مجازًا – إنه سينجح فى اجتياز حاجز الخلايا الضوئية – وهذا أيضًا مستحيل – فسيكون عليه حينذاك أن يرفع الغطاء الزجاجى الضخم ، الذى يزن مائة كيلوجرام تقريبًا ، أو ثقبه على الأقل ، وحينما يحاول ستنطلق صفارات الإنذار أيضًا ، فكُلٌّ من الغطاء الزجاجى والقاعدة المرمرية مصنوع من مادة خاصة ، موصِّلة للكهرباء ، ومتصلة بأجهزة الإنذار نفسها ، وهكذا ترون أيها السادة أنه من غير الممكن ، بل من المستحيل سرقة (الفهد الأبيض) .

سأله نفس الصحفى فى دهشة :

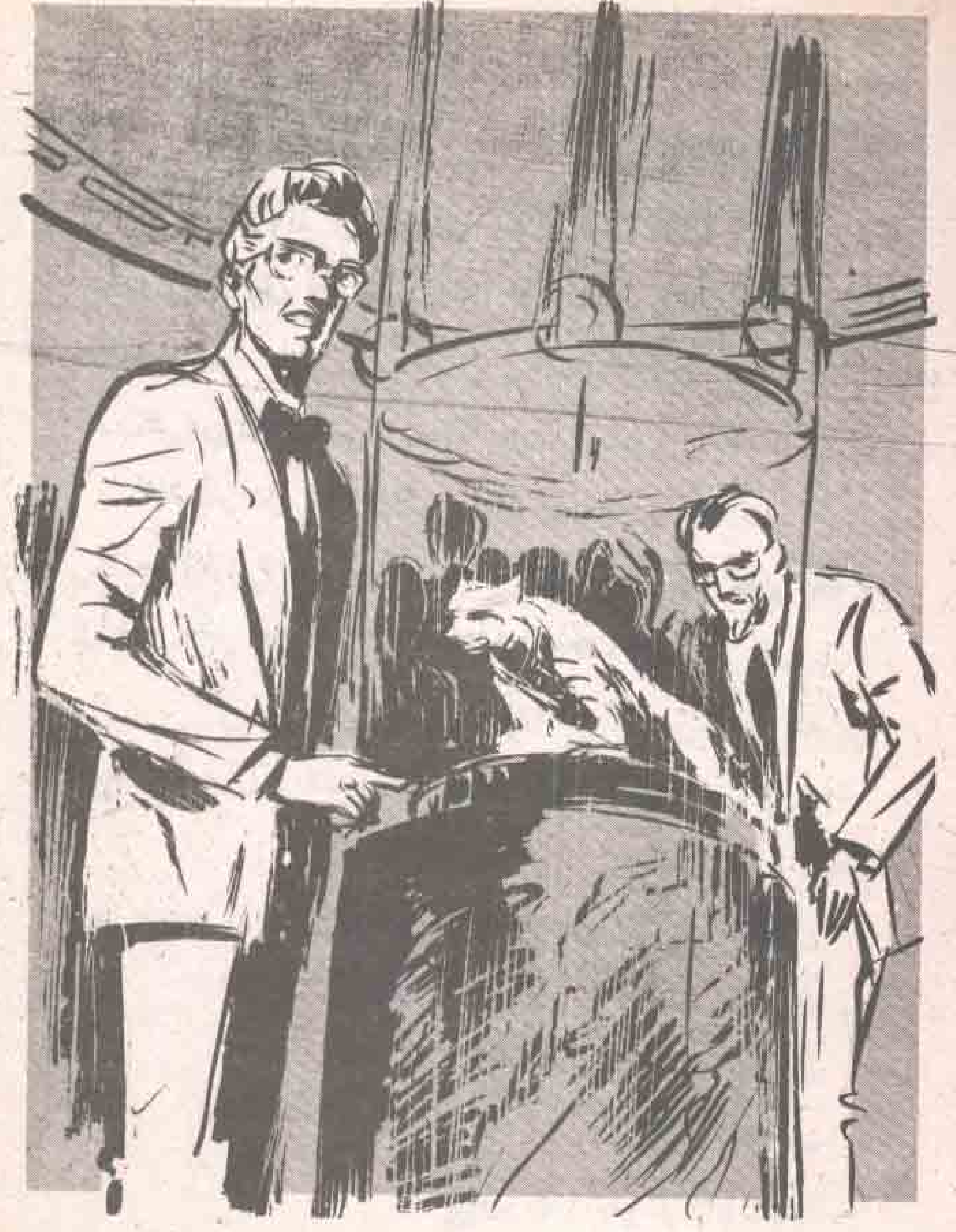
– إنها إجراءات أمنيَّة رائعة بالحق ، ولكن أليس من الخطإ شرحها تفصيليًّا هكذا ؟

ابتسم (بروس) فى فخر ، وهو يقول :

– يمكنك اعتباره نوعًا من التحدِّى .

سَرَت همهمة تجمع ما بين الدهشة والإعجاب بين الحاضرين ، ثم تطلَّع (بروس) فى ساعته ، وقال فى انفعال :

– والآن أيها السادة ، حانت اللحظة التى تنتظرونها .. ستُفتَح الأبواب بعد ثلاث ثوان .. ثانيتين .. ثانية واحدة .



وتألَّقت عينا (فان ديك) فى فخر وهو يهتف فى جذل :

ــ هاهو ذا .. هاهو ذا (الفهد الأبيض) ..

ولوَّح بذراعه فى قوة ، وهو يهتف بانفعال بالغ :

ــ الآن .

لم يكن صدى هتافه قد تلاشى بعد ، حينما صدر صوت معدنى رنَّان ، وتحرَّكت الأبواب الأربعة دفعة واحدة ، وبدت قاعة (الفهد الأبيض) أمام أعين الجميع ، وتدافع زوَّار المعرض فى شغف ، والتفوا حول التحفة الرائعة ، التى يبلغ طولها ثلاثين سنتيمترًا ، وارتفاعها خمسة عشر سنتيمترًا ، واتسعت عيونهم فى انبهار وإعجاب ، وتألَّقت عينا (فان ديك) فى فخر ، وهو يهتف فى جذل :

ــ هاهو ذا .. هاهو ذا (الفهد الأبيض) .

كان الانفعال يسيطر على الجميع ، حينما انطلق صوت هادئ ، يقول فى مزيج من الحنق والاستنكار والثقة :

ــ يا للسخافة !!

التفت إليه الجميع فى دهشة بالغة ، وطالعهم وجه رجل فى الخمسين من عمره ، أشيب الفَوْدَيْنِ ، يرتدى منظارًا طبيًّا ، ويتطلَّع إلى التحفة فى امتعاض ، فهتف به (فان ديك) فى حَنَق :

ــ لو أنك لا تهوى مشاهدة الآثار النادرة ، فليس من حقك أن .....

قاطعه الرجل فى برود :

ـ هذه التحفة زائفة ..

شهق الزوّار فى ذهول ، واتسعت عينا (بروس) فى ذعر ، فى حين احتقن وجه (فان ديك) ، وهو يقول فى غضب :

ـ من أنت حتى .....؟

عاد الرجل يقاطعه فى برود :

ـ أنا (دافيد شيلدون) .. خبير الآثار والفن القديم ، وأكرّر بكل ثقة .. هذه التحفة زائفة .

* * *



٣ ـ اللُّعبة ..

تفجّرت عبارة (شيلدون) كالقنبلة وسط ذلك الحشد من الزُّوّار ، الذين تركوا أعمالهم ومهامهم ، واحتشدوا منذ الصباح الباكر ، لرؤية (الفهد الأبيض) ، فسرت بينهم همهمة مستنكرة غاضبة ، فى حين هتف (فان ديك) فى سخط :

ـ أنت كاذب .. حتى ولو كنت خبيرًا فى الآثار والفن القديم ، فلن يمكنك اتخاذ مثل هذا القرار الخطير ، وأنت تقف على بعد متر من (الفهد الأبيض) .

مطَّ (شيلدون) شفتيه فى هدوء ، وعاد يقول بذلك البرود الإنجليزى الشهير :

ـ ليس من الضرورى أن يلمس المرء الموت ، ليجزم بوجوده أيها المتحذلق .

صاح (فان ديك) فى حِدَّة :

ـ أنا أتحدَّاك .

أجابه (شيلدون) فى برود :

— ستخسر التحدّى ، فالدراسات القديمة كلها تؤكد أن المصريين القدماء لم يتخذوا العاج الأبيض أبدًا مادة لنحتهم ، ثم إنك تقول إن هذا التمثال يعود إلى عهد الأسرة السادسة ، أى إلى مرحلة الأسرات فى الفن المصرى القديم ، وهذا يعنى أنه يعود إلى ما بين (٣٢٠٠ — ٢٧٨٠ قبل الميلاد) ، فى حين لم يكن الفهد معروفًا للمصريين القدماء فى ذلك الحين ، ولم يعرفوه إلا مع الرحلات التجارية إلى (بونت) فى عصر الملكة (حتشبسوت) ، أى ما بين (١٥٠٣ — ١٤٨٢ قبل الميلاد)(*) .. ولست فى حاجة لأن أشرح لك أنه بالنسبة لتواريخ ما قبل الميلاد ، يكون عام (٣٢٠٠) سابقًا لعام (١٥٠٣) .

احتقن وجه (فان ديك) ، وهمّ بالاعتراض ، لولا أن ارتفع صوت أنثوى هادئ ، يقول بالإنجليزية :

— هذا صحيح .

التفت الجميع فى دهشة إلى مصدر الصوت ، فطالعتهم فتاة حسناء ، تلعثمت وهى تستطرد فى ارتباك :

(*) حقيقة تاريخية ..

— معذرة لتدخُّلى ، ولكننى أستاذة مصرية فى التاريخ القديم .

كان لتأكيد الفتاة المصرية أثرٌ قوىٌّ على مجرى الأحداث ، فقد بدأ الاضطراب يسود فى القاعة ، والزوّار يتبادلون الحديث فى انفعال ، ما بين مؤيد ومعارض ، حتى صاح (فان ديك) فى غضب :

— لحظة أيها السادة .

ساد الصمت التام عبارته ، فى حين التفت هو إلى (شيلدون) ، وقال فى توتُّر :

— إننى أتحدَّاك ، وسأثبت لك أنك على خطإٍ .

ابتسم (شيلدون) ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

— أراهنك بألف جنيه استرلينى أنك ستخسر التحدّى .

هتف (فان ديك) فى حماس :

— أوافق ، وأرفع قيمة الرهان إلى عشرة آلاف جنيه استرلينى .

عادت همهمة الدهشة تسرى بين الحاضرين ، فى حين التفت (شيلدون) إلى مدير المعرض (بروس) ، وقال فى هدوء :

ـــ سنوقِّع عقدًا بذلك ، وستوقِّع كشاهد يا سيِّدى .

ارتبك (بروس) وهو يغمغم :

ـــ فى الواقع .. إننى .....

حدجه (فان ديك) بنظرة ساخطة ، فتنهّد وهو يقول :

ـــ حسنًا .. سأوقِّع معكما .

ابتسم (شيلدون) فى ارتياح ، ثم التفت إلى الأستاذة المصرية ، وقال :

ـــ وأنت أيضًا يا سيِّدتى ، ستوقِّعين كشاهدة .

بدا ارتباك مماثل على وجه الأستاذة المصرية ، ثم غمغمت :

ـــ لا بأس يا مستر (شيلدون) .. ما دام هذا يرضيك .

أسرع (فان ديك) ينتزع من مفكرته ورقة ، وهو يقول فى عصبيَّة :

ـــ سيسعدنى أن أشعل سيجارتى بنقودك أيها الإنجليزى ، فستخسر رهانك بلا شك .

ابتسم (شيلدون) ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

ـــ إنها لُعبة يا مستر (ديك) ، وهناك خاسر دائمًا فى أيَّة لُعبة ، ولكننى واثق من النصر .. واثق تمامًا .

* * *

أطلقت (منى) ضحكة مرحة وهى تستعيد ذكرى ذلك الحوار ، ثم التفتت إلى (أدهم) الذى يقود سيارته فى هدوء ، وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وقالت وهى تضحك :

ـــ لقد كانت خدعة طريفة يا مستر (شيلدون) ، ولقد كنت بارعًا فى تمثيل دور عالم الآثار الإنجليزى البارد ، ولكننا نجحنا فى الحصول على توقيعى (فان ديك) و (بروس) ، وإثارة البلبلة المطلوبة فى الوقت ذاته .

اتسعت ابتسامة (أدهم) الساخرة ، وهو يقول :

ـــ إنها الخطوة الأولى فحسب يا عزيزتى .

ثم استطرد فى جدِّية :

ـــ ولكنك كنت أيضًا رائعة ، فى أداء دور أستاذة التاريخ القديم ، حتى لقد بدا تلعثمك حقيقيًا للغاية .

ضحكت فى مزيج من الخجل والسعادة ، وهى تقول :

ـــ تلميذتك يا سيادة المقدَّم .

ثم عادت ملامحها تكتسب بعض الاهتمام ، وهى تسأله :

ـــ ولكن ألم يكن من الأسهل أن نحصل على توقيعهما على صفحتى (أوتوجراف) بدلًا من هذه الخُطَّة المعقَّدة ؟

ابتسم (أدهم) وهو يقول :

ـ وكيف كنا سنثير الشك فى حقيقة التمثال ياعزيزى ؟

ثم انعقد حاجباه ، وهو يردف فى صرامة :

ـ لقد وقع لص الآثار هذا فى الفخ ، وسيدفع ثمن محاولته اغتصاب آثارنا .

وصمت لحظة ، ثم عادت ابتسامته الساخرة إلى شفتيه ، وهو يقول فى مرح :

ـ ولكنّ اللّعبة ترُوق لى هذه المرة .. ترُوق لى كثيرًا .

* * *



٤ ـ الفريق ..

انعقد حاجبا (قدرى) فى اهتمام ، وهو يستمع إلى (أدهم) ، ثم لم يلبث أن لوَّح بذراعه ، وهو يقول فى ضيق :

ـ يا للطرافة !! إن ما تقوله يا عزيزى (أدهم) يَعْنى أنه من العسير على باعوضة صغيرة الوصول إلى (الفهد الأبيض) ، فكيف تتصوَّر نجاحك فى سرقته بالله عليك ؟!

ابتسم (أدهم) فى استهتار ، وهو يقول :

ـ دَعْ لى هذه النقطة يا صديقى ، فلقد علَّمنى عمل المخابرات أنه ما من جهاز أمن تام الإحكام أبدًا ، ومهما بدت الأمور معقَّدة ، توجد دائمًا ثغرة ما .

تأمَّل (قدرى) ملامحه الساخرة لحظة ، ثم ابتسم وهو يقول :

ـ هل ستتبع أسلوب الجرذ ، فتحفر نفقًا حتى تصل إلى قاعدة التمثال ؟

ضحك (أدهم) وهو يقول :

ـ إنها وسيلة قديمة سخيفة يا عزيزى (قدرى) ، ولم تعد تصلح فى أيامنا هذه ، ثم إننى أكره الجِرذان ..

وتألّقت عيناه فى غموض ، وهو يستطرد :

ـ وأعتقد أننى أميل لاستخدام أسلوب العنكبوت .

تطلّع إليه (قدرى) فى حَيْرَة ، وغمغم :

ـ أسلوب العنكبوت ؟!.. ماذا تَعْنِى بذلك ؟

ضحك (أدهم) ، وهو يقول :

ـ لا تشغل عقلك بذلك يا صديقى ، وأخبرنى ، هل يمكنك تقليد هذين التوقيعين ؟

عقد (قدرى) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ سأقاضيك من أجل هذا السؤال يا (أدهم) .

عاد (أدهم) يضحك ، وهو يقول :

ـ حسنًا يا صديقى .. أنا أعلم أنك ستفعل ذلك بنفس البساطة ، التى يخطّ بها أستاذ جامعى حرفًا عاديًا ، ولكننى أردت أن أداعبك .

غمغم (قدرى) :

ـ لست أميل إلى هذا النوع من الدُّعابة .

ثم ارتفع صوته ، وهو يهتف فى استنكار :

ـ ثم إننى أفقد الرغبة فى المرح ، حينما تكون معدتى خالية هكذا ، ونحن لم نتناول طعام الغداء بعد ، وروائح الطعام الذى تعده (منى) تكاد تستهلك لعابى كله .

ربّت (أدهم) على كتفه ، وهو يبتسم قائلًا :

ـ حسنًا يا صديقى العزيز ، سنتناول طعام الغداء أولًا ، فستحتاج إلى سعرات حرارية كثيرة ؛ لأداء الجزء الخاص بك من الخطة .

ضحك (قدرى) ، وهو يقول :

ـ تزوير توقيعين عاديَّين لا يحتاج إلى كل هذه السعرات الحرارية يا صديقى .

ابتسم (أدهم) فى غموض ، وهو يقول :

ـ ومن قال إن الجزء الخاص بك يقتصر على تزوير التوقيعين يا (قدرى) ؟

تألّقت عينا (قدرى) فى جذل ، وهو يقول :

ـ هل تعنى أننى سأقوم بدور فعلى يا (أدهم) ؟

لوّح (أدهم) بكفّه ، وهو يبتسم قائلًا :

ـ بالطبع يا صديقى ، ألسنا نعمل هذه المرّة بروح الفريق ؟


تألقت عينا (قدرى) فى جذل ، وهو يقول :
ـــ هل تَعْنِى أننى سأقوم بدور فعلى يا (أدهم) ؟

اتقدت عينا (قدرى) بالحماس ، حتى أنه نسى جوعه ، وهو يقول فى انفعال :

ـــ هاتِ ما لديك يا صديقى ، ففكرة الفريق هذه تروق لى للغاية .. هيَّا .. قبل أن تفقد أهم عضو فى فريق (رجل المستحيل) .

* * *

وضع (فان ديك) سمَّاعة الهاتف فى حَنَق واضح ، والتفت إلى رجل متوسِّط الطول ، يجلس إلى جواره فى هدوء ظاهرىّ ، وإن شفَّت حركات أصابعه المتواصلة عن توتُّر داخلى واضح ، وقال فى غضب :

ـــ لقد كنت على حقّ ، لا يوجد فى (إنجلترا) كلها عالم آثار وفنون قديمة يدعى (دافيد شيلدون) .

عقد الرجل المتوسِّط الطول حاجبيه ، وازدادت حركات أصابعه حِدَّة ، وهو يقول :

ـــ ماذا يَعْنِى ذلك بالضبط ؟.. لماذا يحاول (شيلدون) المزعوم هذا إثارة الشكوك حول صحة التمثال ؟

نهض (ديك) ، وهو يقول فى مزيج من الغضب والحَيْرَة :

— لست أدرى يا (فنسنت) .. هناك سرّ يكمن وراء ذلك ، ولكن عقلى يعجز عن إدراكه .

ساد الصمت بينهما لحظات ، ثم غمغم (فنسنت) :

— أنت واثق من سلامة (الفهد الأبيض) .. أليس كذلك ؟

هتف (ديك) فى حَنَق ، وهو يحدجه بنظرة قاسية :

— ماذا تَعْنِى بأننى واثق من سلامته بحقِّ الشيطان ؟

أجابه (فنسنت) ، وقد شابت لكنته بعض العصبيّة :

— أَعْنِى هل أنت واثق من أنه تمثال أصلىّ ؟

لوَّح (فان ديك) بذراعه فى غضب ، وهو يهتف :

— تمام الثقة .. كيف يمكنك أن تشكّ فى ذلك ؟

عقد (فنسنت) حاجبيه طويلًا ، وكأنه يتمعّن فى الأمر جيّدًا ، ثم قال فى حِدّة :

— لماذا يقلقك الأمر إلى هذا الحد إذن بالله عليك ؟.. دَعْهُ يفعل ما يشاء ، ولتربح أنت العشرة آلاف جنيه .

صاح (فان ديك) فى عصبيّة :

— أنت لا تفهم .. ليست الخسارة هى التى تقلقنى ، وإنما الأسلوب نفسه ، إننى أشعر أن المصريين خلف ذلك ، لا ريب أنهم يحاولون استعادة تحفتهم .

هتف (فنسنت) فى استنكار :

— مستحيل يا (ديك) .. إنك تعلم أن استحكامات الأمن تجعل هذا مستحيلًا .

اتسعت عينا (فان ديك) لحظة ، ثم هتف فى انفعال :

— يا إلٰهى !!.. ربَّما كان هذا هو السبب يا (فنسنت) .

اعتدل (فنسنت) فى اهتمام ، فى حين استطرد (فان ديك) فى انفعال متزايد :

— ربما كانوا يحاولون دفعنا لإخراج التمثال من مكانه ، حتى يمكنهم استعادته .. يا للشيطان !!.. لا ريب أن هذا هو السبب الحقيقى .

لم يكد يتم عبارته ، حتى سمع صوت جرس باب منزله ، ينطلق فى رنين متصل ، فصاح فى عصبية :

— من يأتى فى هذا الوقت بحقِّ الشيطان ؟!

تطلَّع إليه (فنسنت) فى قلق ، ثم نهض إلى الباب ، وتطلَّع عَبْر العين السحرية ، المثبَّتة فى منتصفه ، ثم التفت إلى (فان ديك) ، وغمغم فى دهشة :

— إنه رجل بالغ البدانة ، يحمل ملامح شرقية .

عقد (فان ديك) حاجبيه ، وهو يقول فى مزيج من الدهشة والقلق :

ـــ رجل بالغ البدانة ؟!.. إننى لا أعرف رجلا على هذه الصورة ، ماذا يريد ؟

هزَّ (فنسنت) كتفيه فى حَيْرة مماثلة ، ثم فتح الباب ، وتطلَّع فى قلق إلى (قدرى) الذى ابتسم فى هدوء ، وهو يقول بانجليزية ركيكة :

ـــ هل يمكننى مقابلة السيد (فان ديك) ؟

ظلَّ (فنسنت) يتأمَّله لحظــــة فى صمت ، ثم قال فى عصبية :

ـــ ألديك موعد سابق يا سيِّدى ؟

هزَّ (قدرى) كتفيه المكتظتين فى لامبالاة ، وقال فى هدوء :

ـــ لا .. ولكننى واثق أن ما لدىَّ سيثير اهتمامه جدًا .

عقد (فنسنت) حاجبيه فى صرامة ، وهو يقول :

ـــ السيِّد (فان ديك) لا يقابل أحدًا دون موعد سابق ، ولو أنك ......

قاطعه (قدرى) فى هدوء :

ـــ لقد أتيت بشأن (الفهد الأبيض) .

لوَّح (فنسنت) بذراعه ، وهو يقول وقد تزايدت عصبيَّته :

ـــ قلت لك إن السيِّد .....

قاطعه صوت (فان ديك) هذه المرَّة ، وهو يقول :

ـــ سأقابله يا (فنسنت) .

ثم أطلَّ بوجهه من باب منزله ، يتأمَّل (قدرى) بدوره ، وهو يقول فى توتُّر :

ـــ ماذا تريد أيها السيِّد ..؟

ابتسم (قدرى) وهو يقول :

ـــ (قدرى) .. نحَّات مصرى معروف فى وطنى ، ولقد أتيت لأحادثك بشأن ذلك الرهان ، بينك وبين الإنجليزىّ .

عقد (فان ديك) حاجبيه ، وهو يقول فى حِدَّة :

ـــ هل أرسلك الإنجليزى المزيَّف ؟

تنهَّد (قدرى) ، وقال فى هدوء :

ـــ أعتقد أنه من الأفضل أن نتحدَّث فى الداخل .. أليس كذلك ؟

تبادل (فنسنت) و (فان ديك) نظرات مسترية ، ثم أفسحا له الطريق ، فتقدَّم (قدرى) إلى داخل المنزل فى هدوء ، واختار الأريكة الكبيرة فى الرَّدهة ، ليجلس فوقها ، دون أن يدعوه أحدهما إلى ذلك ، وأسرع (فنسنت) يغلق

الباب ، فى حين التفت (فان ديك) إلى (قدرى) ، وهو يقول فى عصبيَّة :

ـ قُل لذلك الإنجليزى الذى أرسلك إننى ......

قاطعه (قدرى) فى هدوء ، دون أن تفارق ابتسامته شفتيه :

ـ لحظة يا سيِّد (فان ديك) .. أحب أن أؤكد أولًا أنه لا صلة لى بذلك الإنجليزى ، وإنما أتيت من أجلك أنت .

تبادل (فان ديك) و (فنسنت) نفس النظرات القلقة المستريبة ، ثم قال (فان ديك) فى عصبية :

ـ وماذا تريد منِّى ؟

استرخى (قدرى) بجسده الضخم على الأريكة الواسعة ، وهو يقول فى هدوء :

ـ أريد منك أن تتنازل عن ذلك الرهان ، قبل أن تخسر عشرة آلاف جنيه استرلينى .

صاح (فان ديك) فى غضب :

ـ لقد كشفت نفسك أيها المخادع ، أنت تلعب مع الإنجليزى لعبة قذرة و .....

قاطعه (قدرى) فجأة فى حِدَّة :

ـ كُفَّ عن مقاطعتى أيها الرجل ، واستمع إلىَّ ، فإنك ستخسر الرهان حتمًا .

بلغ غضب (فان ديك) مبلغه ، وهو يهتف فى ثورة :

ـ كيف يمكنك أن تجزم بذلك ؟

عاد (قدرى) يسترخى على الأريكة الواسعة ، وهو يقول فى برود عجيب :

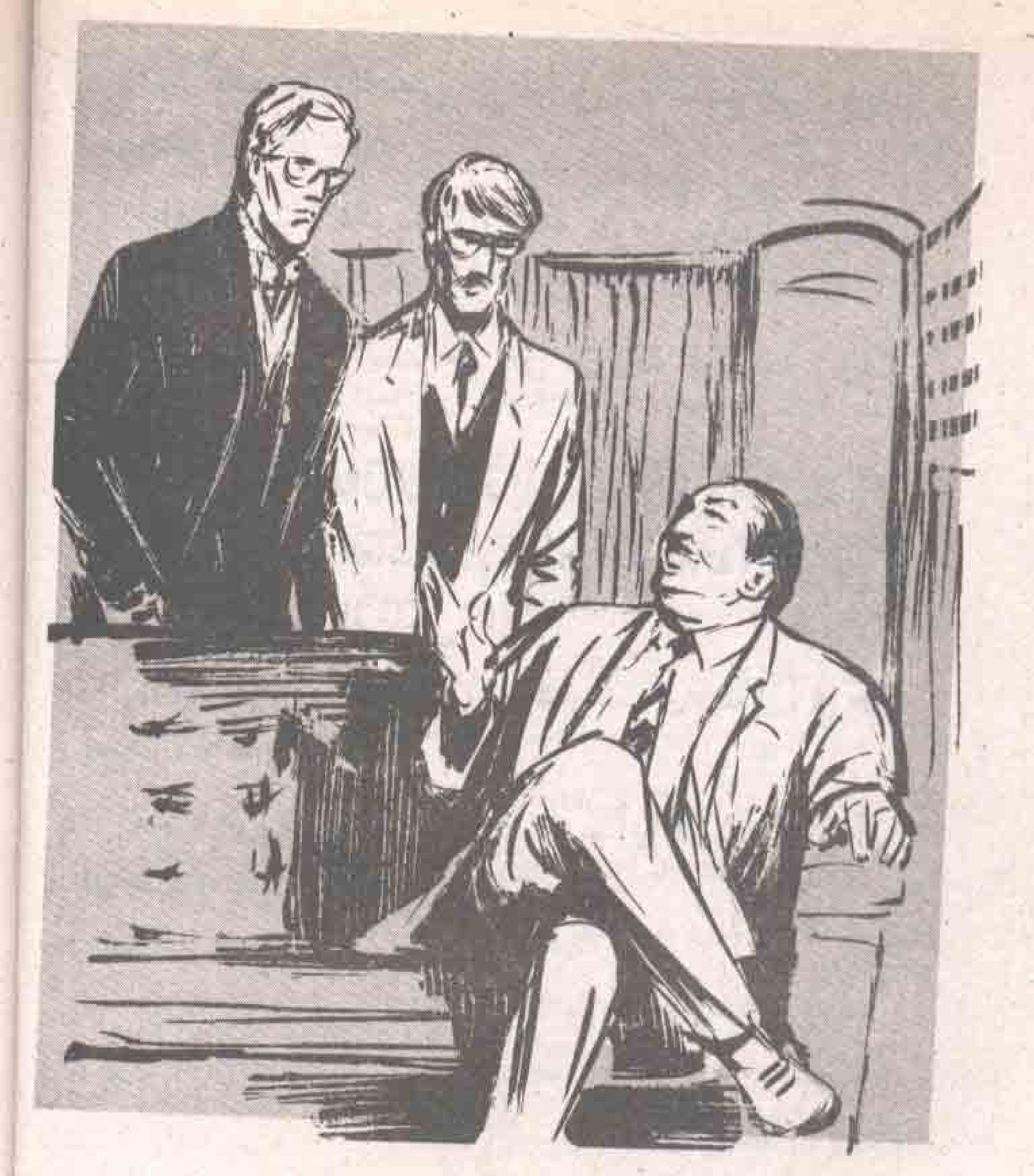
ـ لأن هذا التمثال لا يعود إلى عهد الأسرة الخامسة ، أو السادسة ، أو حتى العاشرة ، وعمره لا يبلغ ثلاثة آلاف عام كما تدعى ؛ لأنه ببساطة ملكى أنا .

اتسعت عينا (فان ديك) و (فنسنت) فى ذهول ، فى حين استطرد (قدرى) بنفس البرود :

ـ ملكى لأننى أنا صانعه .. نعم أيها السيِّدان .. أنا صاحب (الفهد الأبيض) .

* * *





استطرد (قدرى) بنفس البرود :

ــ ملكى لأننى أنا صانعه .. نعم أيها السيدان ..

٥ ــ لُعبة الزمن ..

سيطر السكون على المكان طويلًا ، بعد أن ألقى (قدرى) عبارته الأخيرة ، التى بدت كقنبلة مدمِّرة ، تفجَّرت فى وجهى (فان ديك) ، و (فنسنت) ، فاتسعت عيونهما فى ذهول ، وسقطت فكَّاهما على نحو يُوحِى بالبلاهة ، قبل أن يصرخ (فان ديك) فجأة فى ثورة ، وجسده يرتجف فى انفعال :

ــ أيها الكاذب المخادع .. غادر منزلى فورًا ، قبل أن ..

أطلق (قدرى) ضحكة مجلجلة عالية ، جعلت (فان ديك) يبتر عبارته ، ويحدِّق فى وجهه بمزيد من الذهول ، ثم قال (قدرى) فى هدوء ، وعيناه تتألقان فى جذل عجيب :

ــ رُوَيْدك يا سيِّد (ديك) .. إنك لن تربح الرهان لمجرَّد أنك تجيد الصياح ، والتلويح بيديك فى عصبية .

أمسك (فنسنت) بذراع (فان ديك) ، وقال فى انفعال :

ــ إنه على حقٍّ يا (ديك) .. دَعْنا نستمع إليه أولًا ، ثم نتخذ قرارنا فيما بعد .

زفر (فان ديك) فى قوة ، ثم ألقى جسده على المقعد المقابل لـ (قدرى) ، وهو يقول :

ـ حسنًا .. هاتِ ما لديك .

ابتسم (قدرى) فى ظفر ، ثم قال وهو يعتدل فى مجلسه :

ـ سبق أن أوضحت أننى نحّات معروف فى مصر ، ولكن شهرتى هناك لا تعود إلى تفوُّق فى عالم الفن والنحت ، وإنما تعود إلى براعتى فى صنع التحف الأثرية المزيَّفة ، التى تخدع السيَّاح ، وتدرُّ أرباحًا خيالية .. ولقد كنت قد صنعت ذلك (الفهد الأبيض) ، ووضعت فيه كل براعتى وفنى ، ثم دفنته فى منطقة حدَّدتها من قبل فى وادى الملوك ، حتى يبدو أمام السيَّاح وكأننى عثرت عليه هناك .. ولكنك سبقتنى يا سيِّد (ديك) ، وحققت من تمثالى الجميل أرباحًا تفوق أقصى ما كان يمكننى أن أحلم به .. فهأنتذا تصبح أشهر عالم آثار فى هذه الأيام ، وتحصل على مليونى دولار ، فى مقابل عرض (الفهد الأبيض) فى متحف الفن فى (أمستردام) لمدة عام ، تعود بعده ملكيته إليك ، طبقًا للقانون الهولندى ، الذى يبيح لك امتلاك ما تعثر عليه من آثار ، بعكس القانون المصرى الذى .....

قاطعه (فان ديك) فى حِدَّة ، وقد عجز أخيرًا عن كتمان غضبه وثورته :

ـ أنت كاذب محتال ، فهذا التمثال أثرى مائة فى المائة ، ولقد أكَّد الخبراء الذين فحصوه ذلك .

ابتسم (قدرى) ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

ـ هذا لأنهم كانوا يفحصونه وهم يضعون فى أذهانهم فكرة أنك عالم آثار محترم ، لا يمكن أن يلجأ إلى الخداع يا سيِّد (ديك) ، ثم إننى رجل بارع دقيق فى عملى ، وهناك وسائل بارعة تمكِّننى من خداع بعض الخبراء ، كتعريض التمثال لدرجات معينة من الحرارة ، ثم تبريده لفترات طويلة ، ودفنه فى رَماد الفحم والرمال ، وعشرات من الوسائل الأخرى ، التى يعلمها كلانا جيِّدًا ، والتى سينتبه إليها الخبراء هذه المرَّة ، حينما يفحصون التمثال طبقًا للرهان الذى نشب بينك وبين مستر (شيلدون) الإنجليزىّ .

ساد صمت ثقيل بعد أن انتهى (قدرى) من حديثه هذه المرَّة ، وتبادل (فان ديك) و (فنسنت) نظرات شاحبة ، مُفْعمة بالقلق ، قبل أن ينهض الأول من مقعده ، ويتحرَّك فى أرجاء الرَّدهة فى توتُّر واضح ، ثم يلتفت إلى (قدرى) ، قائلًا فى حِدَّة :

— وماذا تريد بعد كل هذا ؟

عاد (قدرى) يسترخى فى مقعده ، وهو يقول فى هدوء :

— نصف مليون دولار يا سيِّد (ديك) .

قفز (فان ديك) من مقعده ، وهو يصرخ فى استنكار :

— هل أصابك الجنون ؟!!.. أتطالبنى بنصف مليون دولار ، حتى لا أخسر رهانًا قيمته عشرة آلاف جنيه استرلينى ؟

ارتسمت السخرية على شفتى (قدرى) ، فى حين أمسك (فنسنت) بذراع (فان ديك) ، وهو يقول فى توتُّر :

— لحظة يا (ديك) .. هذا الرجل يعلم أن خسارتك لن تقتصر على الآلاف العشرة فحسب ، وإنما تشمل سمعتك العلمية ، والمليونى دولار أيضًا .

ابتسم (قدرى) فى وجه (فنسنت) ، وهو يقول :

— أنت رجل حكيم أيها السيِّد .

ثم نهض من جلسته فى رشاقة لا تتَّفق وبدانته ، واتجه فى خطوات سريعة إلى باب المنزل ، واستدار حينما وصل إليه ، وابتسم ابتسامة باردة ، وهو يقول :

— فكِّر فى الأمر كما يحلو لك يا سيِّد (ديك) ، ولكن

لا تستغرق أكثر من ساعة واحدة من تفكيرك .. فسأنتظرك فى رَدهة فندق (شيراتون أمستردام) حيث أقيم ، فى تمام الخامسة ، لتحضر لى شيكًا بالمبلغ الذى طلبته ، وإلَّا فسأضطر آسفًا إلى إعلان أمر زيف (الفهد الأبيض) .

قال عبارته ، وغادر المنزل فى هدوء ، وهو يهنّئ نفسه على نجاحه فى أداء الدور الذى أسنده إليه (أدهم) .. ولكنه لم يكد يحشر جسده البدين فى السيارة الأنيقة التى استأجرها ، حتى عقد حاجبيه ، وهو يغمغم فى حِدَّة :

— ولكن ماذا يريد (أدهم) من كل هذا بالله عليه ؟

* * *

رَانَ الصمت على (فان ديك) و (فنسنت) طويلًا ، بعد أن غادر (قدرى) المنزل ، حتى غمغم (فان ديك) فى صوت متحشرج أجشّ :

— إنه يخدعنا ولا شكّ .

عقد (فنسنت) حاجبيه ، وهو يغمغم فى خفوت :

— ربَّما .

صاح (فان ديك) فى حَنَق :

— ماذا تَعْنِى بكلمة ربَّما هذه ؟

هتف (فنسنت) فى حِدَّة :

ــ لقد كان يتحدَّث عن ثقة ، وربَّما كان صادقًا .

شحب وجه (فان ديك) ، وهو ينكمش فى مقعده ، مغمغمًا :

ــ وماذا نفعل لو أنه كذلك ؟

زفر (فنسنت) فى قوة ، وأخرج علبة سجائره بأصابع مضطربة ، وأشعل سيجارة ونفث دُخَانها وهو يفكِّر فى عمق ، ثم قال فى بطء :

ــ إنك لن تتحمَّل النتائج لو أنه صادق .. أليس كذلك ؟

ازداد شحوب وجه (فان ديك) ، وهو يغمغم :

ــ ستكون النتائج وخيمة للغاية ، فضياع سمعتى العلمية ، وخسارة مليونى دولار ليست بالأمر الهيِّن .

عاد (فنسنت) ينفث دُخَان سيجارته فى قوة ، وهو يقول :

ــ وهل ستدفع نصف المليون دولار لذلك البدين ؟

تردَّد (فان ديك) لحظة ، ثم غمغم فى خفوت :

ــ خسارة نصف مليون دولار أقل ضررًا من .....

قاطعه (فنسنت) فى عصبيَّة :

ــ إنه لن يكتفى بنصف المليون دولار .. فما من مبتز يقنع بما يحصل عليه أبدًا .

بلغ شحوب وجه (فان ديك) أقصاه ، فى حين استطرد (فنسنت) فى صرامة :

ــ لقد قرَّرت اللجنة إعادة فحص تمثالك صباح الغد ، أمام زوَّار المعرض ، بشرط حضورك ، وحضور (شيلدون) فى الموعد .. وبغضّ النظر عن كون (شيلدون) مخادعًا أم لا ، فإن فحص التمثال سيسبق إثبات خداعه ، وستبدو محاولتك للطعن فى حقيقته ، وكأنها محاولة منك للتهرُّب من إعادة فحص التمثال ، ثم إن هذا المبتز البدين يتلهَّف للحصول على النقود ، حتى أنه لن يقنع بالانتظار للغد .

وتنهَّد فى قوَّة ، قبل أن يستطرد :

ــ إنها لُعبة زمن ، وعلينا أن نجيد لعبها ، حتى لا نخسر كل شىء .

ثم التفت إلى (فان ديك) ، وقال فى صرامة وحزم :

ــ سنذهب لمقابلة البدين فى الموعد ، ولكن لا تحمل له شيكًا موقَّعًا .. بل خُذ معك دفتر شيكاتك خاليًا من أيَّة توقيعات ، وحاول أن تجعله يراه ، حتى يطمئن إليك ، وإلى

حصوله على النقود ، وحاول أن تماطله بعض الوقت ، وتساومه ليحصل على أقل مبلغ ممكن ، بشرط أن يمنحك دليلًا يؤكد أنه صانع التمثال حقًا ، ثم اعطه شيكًا بالمبلغ الذى يتم الاتفاق عليه بعد المساومة ، على أن يتحدَّد تاريخ صرفه ببعد باكر ، وضع على الشيك توقيعًا يخالف توقيعك المعتاد ، وحينما يذهب ذلك الحقير لصرف قيمة الشيك ، فسيُلقى رجال البنك القبض عليه ، بناءً على بلاغ سابق منا ، ولن يصدِّقه أحد إذا ما ملأ الدنيا صياحًا ــ حينذاك ــ بأن التمثال مزيَّف ، وستبدو كمحاولة منه للإفلات من العقاب .

غمغم (فان ديك) فى توتُّر :

ــ ولكن فحص التمثال سيتم باكرًا ، وربَّما .....

قاطعه (فنسنت) فى عصبية :

ــ اطمئن .. لن يتم الفحص ؛ لأن شروطه لن تكتمل .

ونفث دُخَان سيجارته ، وهو يستطرد فى بطء وصرامة :

ــ فلن يحضر (داڤيد شيلدون) الفحص .

اتسعت عينا (فان ديك) ، فى حين أردف (فنسنت) فى هدوء :

ــ فسيلقى السيِّد (شيلدون) حتفه هذه الليلة .. مهما كان الثمن ..

* * *

٦ ــ محاولة قتل ..

استمع (أدهم) فى اهتمام إلى (قدرى) ، وهو يقصّ عليه تفاصيل ذلك اللقاء ، الذى دار بينه وبين (فان ديك) و (فنسنت) ، ثم ابتسم فى ارتياح ، وهو يقول :

ــ رائع .. الخُطَّة تسير كما توقَّعت تمامًا يا رفاق .

لم يحاول (قدرى) ، ولم تحاول (منى) سؤاله عن تفاصيل الخطة هذه المرَّة ، وإنما اكتفت (منى) بسؤاله :

ــ وهـل تعتقـد أن (فان ديك) سيرضخ لتهديـد (قدرى) ، ويدفع المبلغ ؟

ابتسم (أدهم) ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

ــ ليس تمامًا ، ولكن ما حدث من (شيلدون) وأستاذة التاريخ القديم هذا الصباح ، سيجعله يذهب لمقابلة (قدرى) فى الموعد المعيَّن .. وأراهنكما أنه سيحضر دفتر شيكاته معه .

عقدت (منى) حاجبيها ، وهى تقول :

ــ وفيمَ يفيدنا ذلك ؟.

تنهَّد (أدهم) ، ولوَّح بكفِّه ، وهو يقول :

ـــ يبدو أننى سأخرق تلك القاعدة الحازمة فى عالم المخابرات ، والتى تقضى بألَّا يعلم أى فرد فى كل مهمة ، إلَّا ما يتعلَّق بدوره فيها فقط ، ضمانًا للسرِّية والأمن ، فعملنا هذه المرَّة يجعلنا أقرب إلى اللُّصوص المحترفين ، منا إلى رجال المخابرات .

ثم ابتسم وهو يستطرد فى هدوء :

ـــ سأخرق القاعدة هذه المرَّة ، وأخبركما بالخُطَّة بتفاصيلها .

واستمعا إليه فى اهتمام وانبهار ، وهو يقصّ عليهما تفاصيل خُطَّته ، حتى انتهى منها ، فشملهم الصمت فترة ، قبل أن تهتف (مني) فى إعجاب شديد :

ـــ يا إلهى !!.. إنك عبقرى يا (أدهم) .. من حسن الحظ أنك لست لصًّا محترفًا ، وإلَّا شملت أثرياء العالم كلهم الرجفة من ذكر اسمك .

أما (قدرى) فأطلق ضحكة مجلجلة ، وربَّت على كتف (أدهم) فى حرارة ، وهو يقول فى مرح :

ـــ والله إن (أرسين لوبين) نفسه ، كان سيشعر أمامك بالضآلة ، لو أنه استمع إلى خُطتك العبقرية هذه يا صديقى .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول فى هدوء :

ـــ إننى أختلف كثيرًا عن (أرسين لوبين) هذا يا عزيزى (قدرى) ، فهو مهما بلغت عبقريته ، كما رواها (موريس لبلان) لصّ يعتدى على أموال الناس وممتلكاتهم.. أما نحن فلا نسرق ، وإنما نستعيد مالنا .

أيَّده (قدرى) و (منى) فى حماس ، ثم قال (قدرى) :

ـــ أعتقد أنه علىَّ أن أذهب الآن ، فلابدَّ لى من انتظار السيد (ديك) ، حينما يحضر لمقابلتى فى موعدنا .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

ـــ ستنتظر (منى) هنا ، حتى يحين دورها ، أما أنا فسأعود إلى الفندق الذى أقيم فيه بشخصية (شيلدون) .. فعلى هذا الأخير أن يثبت تواجده بعيدًا عن مجرى كل تلك الأحداث ، التى ستجرى الليلة .

واتسعت ابتسامته ، وهو يستطرد فى هدوء :

ـــ وبعدها سيتحدَّد مصير (الفهد الأبيض) إلى الأبد .

* * *

توقَّفت سيارة (أدهم) أمام ذلك الفندق ، الذى يقيم فيه بشخصية (شيلدون) ، وهبط هو منها فى هدوء ، مرتديًا حُلَّة

من الصوف الإنجليزى الفاخر ، وأغلق باب سيارته فى بطء ، ثم أخذ يتأكد من هندامه شأن الإنجليزى الأرستقراطى ، واتجه فى خطوات هادئة بطيئة إلى الفندق ..

وعلى بعد أمتار قليلة منه ، انحنى (فنسنت) الذى يقف أمام سيارة كبيرة ، على أُذن قائدها ، وقال وهو يومئ إلى (أدهم) بطرف خَفِىّ :

ـ ها هو ذا .. أريد منك أن تسحقه بسيارتك سحقًا ، حتى ليصعب على رجال الطب الشرعى تعرُّف ملامحه .

ابتسم قائد السيارة ابتسامة تشفّ عن شراسته ، واعتياده ذلك النوع من القتل الإجرامى ، وأدار محرِّك سيارته ، وهو يقول فى هدوء :

ـ اطمئن يا سيِّد (فنسنت) .. سيضطر رجال الإسعاف إلى جمع بقاياه فى صندوق ، بدلًا من وضعه فوق المحفَّة التقليدية .

ثم انطلق فجأة نحو (أدهم) ..

* * *

كان (أدهم) يستعد لدخول الفندق الفاخر ، حينما التقطت أذناه فجأة صرير عجلات السيارة ، التى تندفع نحوه

فى سرعة وقوة ، وصلتْ أذنيه صياح المارة ، وعمّال الفندق ، وصرخاتهم الجزعة ، وهم يتطلعون فى رُعب إلى ذلك المشهد الوحشى ..

وتيقَّظت حواس (أدهم) كلها دفعة واحدة ..

واستدار يواجه السيارة القاتلة فى سرعة مذهلة ، وجُرأة مثيرة ، ورأى مقدِّمة السيارة على بعد نصف متر منه ، والشراسة المرتسمة على وجه قائدها لاتترك مجالًا للشك فى حقيقة نواياه ..

وشهق الروَّاد والمارَّة وعمَّال الفندق ، حينما قفز (أدهم) ..

بل لقد شهق قائد السيارة القاتلة نفسه ، عندما رأى (أدهم) يثب فوق مقدِّمة سيارته ، ثم يحمى وجهه بذراعيه ، ويضمُّ ركبتيه إلى صدره فى مرونة مذهلة ، ويندفع بجسده كله زجاج السيارة الأمامى ..

وفقد القاتل سيطرته على عجلة القيادة ، إزاء تلك المبادرة الجريئة المذهلة ، وتناثر الزجاج المهشَّم فى وجهه ، فتخلَّى عن عجلة القيادة ليحمى عينيه بكفَّيه ، إلَّا أن قبضة (أدهم) الفولاذية أطبقت على عجلة القيادة ، وأدارتها فى براعة من



لقد شهق قائد السيارة القاتلة نفسه ، عندما رأى (أدهم) يثب فوق مقدّمة سيارته ، ثم يحمى وجهه بذراعيه ..

المقعد المجاور للسائق ، تمنع السيارة من الارتطام بجدار الفندق ، أو بوّابته الزجاجية الأنيقة ، ثم امتدت قدمه عَبْر ذلك الفراغ بين المقعدين ، لتضغط كمّاحة السيارة فى قوة ، فى نفس الوقت الذى أطبقت فيه قبضته الأخرى على عنق القاتل فى قسوة ، وارتفع صوته الصارم يقول فى حِدَّة :

ـــ من أرسلك ؟.. من دفع لك ثمن محاولة قتلى ؟

احتقن وجه القاتل ، وهو يصرخ فى ذُعر :

ـــ السيِّد (فنسنت) .. لست أدرى اسمه بالكامل ، ولكنه يدعى (فنسنت) .

قال (أدهم) فى حِدَّة :

ـــ هذا يكفى .

ثم دفع رأس القاتل إلى الأمام فى قوة ، لترتطم جبهته بعجلة القيادة ، فيترنَّح ويفقد الوعى ، فى نفس اللحظة التى هرع فيها الجميع إلى السيارة ، وهتف بعضهم فى ذُعر :

ـــ ماذا حدث ؟.. هل أصابكما مكروه ؟

قفز (أدهم) خارج السيارة فى رشاقة أدهشت الجميع ، وابتسم ابتسامة زادت من دهشتهم ، وهو يشير إلى القاتل الفاقد الوعى ، ويقول فى هدوء :

ــ لا تقلقوا أنفسكم أيها السادة ، إنه مجرَّد حادث بسيط ، يبدو أن هذا السيِّد قد فقد السيطرة على عجلة القيادة ، وأنا واثق أن هذا ما سيخبركم به ، حينما يستعيد وعيه .

ثم عدَّل من هندامه فى برود عجيب ، واتجه فى خطوات هادئة إلى موظف الاستقبال فى الفندق ، وقال فى صوت سمعه الجمع المأخوذ :

ــ سأصعد إلى حجرتى ، وسأخلد إلى نوم عميق ، فأنا أنوى قضاء ليلى كله فى مراجعة بعض الأبحاث ، قبل لقائى بالسيِّد (فان ديك) فى الغد .

قال هذا واتجه فى خطوات هادئة إلى مصعد الفندق ، ولم يلبث أن غاب داخله فى سرعة ، وتابعه الجميع بأبصارهم فى دهشة ، ثم التفت أحدهم إلى زميله ، وقال وهو يلوِّح بكفِّه فى عجب :

يا له من رجل !!.. لقد سمعت وقرأت كثيرًا عن ذلك البرود الإنجليزى التقليدى ، ولكنها المرَّة الأولى التى أراه فيها .

غمغم زميله فى لهجة عجيبة :

ــ هذا الرجل لا يملك ذلك البرود التقليدى يا صديقى .

ثم التفت إلى السيارة ، وتطلَّع إلى رجال الإسعاف الذين يخرجون قائدها الفاقد الوعى ، وأضاف فى هدوء :

ــ إنه يملك برودة القطب الشمالى نفسه .

* * *



٧ ـــ وبدأت اللُّعبة ..

لم يبذل (قدرى) أدنى محاولة للنهوض بجسده الضخم ، من تلك الأريكة الفاخرة التى يتكئ عليها فى بهو فندق (شيراتون أمستردام) ، حينما رأى (فان ديك) يتقدَّم نحوه فى خطوات سريعة قلقة وهو يتلفَّت حوله فى توتُّر واضح ، واكتفى بأن أشار إليه يدعوه إلى الجلوس إلى جواره ، وسأله فى صوت هادئ ، دون أن يرفع عينيه عن طبق الحلوى التى يلتهمها فى نهم :

ـــ هل أحضرت النقود ؟

أجابه (فان ديك) فى عصبيَّة :

ـــ لابدَّ أن أتأكَّد أولًا .

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (قدرى) ، وهو يقول بنفس الهدوء :

ـــ تتأكَّد من ماذا ؟

عاد (فان ديك) يجيبه فى عصبيَّة :

ـــ من أنك حقًّا صانع (الفهد الأبيض) .

توقَّف (قدرى) عن التهام الحلوى ، وأزاح الطبق جانبًا ، وهو يلتفت إلى (فان ديك) ، قائلًا فى هدوء :

ـــ حسنًا يا سيِّد (ديك) .. لقد أدهشنى فى الواقع أنك لم تطلب ذلك فى المرَّة الأولى ، فقد كنت أتوقعه .

ثم مال نحو (فان ديك) ، وضاقت عيناه ، وهو يستطرد فى برود :

ـــ هناك فى أسفل القدم الأمامية اليسرى لـ (الفهد الأبيض) ، وفى المنطقة التى لا يمكن لأحد رؤيتها ، يوجد تجويف بالغ الصغر ، لا يزيد على المليمتر الواحد ، وهذا التجويف لا يوجد إلَّا فى هذه القدم بالذات ، ولقد نشأ نتيجة خطإ منِّى فى أثناء صنع التمثال ، ولكننى قدَّرت أن أحدًا لن يلحظه ، حينما يوضع التمثال فى وضعه الصحيح .

كانت المعلومة دقيقة للغاية ، ومن المستحيل أن يذكرها سوى رجل فحص التمثال فى دقة ، أو صنعه ، مما جعل (فان ديك) ـــ الذى لم يتصوَّر بالطبع أن (قدرى) قد حصل على هذه المعلومة عن طريق الصُّور الدقيقة ، التى التقطها عالم الآثار المصرى ، والتى حملها (أدهم) فى رحلته ـــ ينكمش فى مقعده ، ويشحب وجهه فى انهيار واضح ، ثم يغمغم فى لهجة رجل لم يعد يحتمل المزيد من الهزائم :

ـــ كم تريد ؟

أجابه (قدرى) وهو يعتدل فى هدوء :

ـــ سبق أن أخبرتك أننى أريد نصف مليون دولار يا سيِّد (ديك) .

كان من المفروض أن يماطله (فان ديك) ، ويساومه ، طبقًا لتعليمات (فنسنت) ، إلَّا أن روح الإحباط التى كانت تملأ نفس الرجل ، جعلته يخرج دفتر شيكاته فى استسلام ، ويخطّ فوقه المبلغ المطلوب ، إلَّا أنه لم يكد يصل إلى مرحلة التوقيع ، حتى تذكَّر خُطَّة مدير أعماله (فنسنت) ، فتردَّد لحظة ، ثم ذيَّل الشيك بتوقيع مزيف ، وناوله لـ(قدرى) ، وهو يقول :

ـــ هاك ما تطلب ، ولكننى لا أريد رؤيتك مرَّة أخرى .

تناول (قدرى) الشيك ، وابتسم فى سخرية وهو يتطلَّع إلى التوقيع المزيَّف ، إلَّا أنه لم يعترض ، وإنما دسَّ الشيك فى جيب سرواله ، وهو ينهض ، قائلًا فى هدوء :

ـــ اطمن يا سيِّد (ديك) .. إنك لن ترانى بعد الآن أبدًا .

تبعه (فان ديك) ببصره فى حَنَق وهو يبتعد ، ثم غمغم فى غضب :

ـــ بل سأراك خلف القضبان بعد باكر أيها المبتز الحقير .

ثم نهض بدوره ، وتلفَّت حوله ، ليتأكَّد من أن أحدًا لم يلحظ ما حدث ، ثم تحرَّك فى خطوات سريعة نحو باب الخروج ، وفوجئ فى طريقه بشاب أشقر يرتطم به ، ثم يهتف فى ارتباك :

ـــ معذرة يا سيِّدى .. لقد كنت مسرعًا ، و .....

لوَّح (فان ديك) بذراعه فى حِدَّة ، وهو يقول :

ـــ لا بأس .. أنا أيضًا كنت مسرعًا .

وأسرع يبتعد فى ضيق ، دون أن ينتبه إلى ابتسامة الأشقر الساخرة ، ولا إلى دفتر شيكاته ، الذى انتقل بوسيلة ما إلى أصابع الأشقر ، الذى أسرع ينتزع منه شيكين خاليين ، ويدسهما فى جيب سترته ، قبل أن يسرع خلف (فان ديك) ، وهو يهتف :

ـــ لحظة يا سيِّدى .. لقد سقط هذا من جيب سترتك .

تطلَّع (فان ديك) فى دهشة إلى دفتر شيكاته ، ثم اختطفه من يد الشاب ، وأسرع يخفيه فى جيب سترته ، وهو يصطنع ابتسامة ، ويقول فى عصبيَّة :

ـــ شكرًا لك يا سيِّدى .

وعـاد يتعـد فى سرعـة ، فى حين هزَّ الشاب كتفيـه فى لامبالاة ، واتجه فى خطوات هادئة إلى ركـن البهو ، حيث استقبله (قدرى) ، الذى عاد إلى البهو لسبب ما ، بابتسامة هادئة ، وهو يقول فى مرح :

ـــ هل نجحت ؟

ابتسم الأشقر ، الذى لم يكن إلّا (أدهم صبرى) ، وقال فى مرح ، مقلّدًا صوت (قدرى) ولهجته فى براعة مذهلة :

ـــ سأقاضيك من أجل هذا السؤال يا صديقى .

قهقه (قدرى) ضاحكًا ، على نحو أثار انتباه روّاد الفندق ودهشتهم ، قبل أن يربّت على كتـف (أدهـم) فى مرح ، قائلًا :

ـــ لا عليك يا صديقى .. واحدة بواحدة .

ابتسم (أدهم) وهو يقول :

ـــ سنتحاسب فيما بعد يا صديقى البديـن .. المهـم أن نسرع الآن إلى المنزل ، فسيكون عليك أن تعدّ الشيكين ، لتبدأ (منى) دَوْرها فى الخُطَّة .

* * *

أشارت عقارب الساعة إلى تمام السابعة مساءً ، حينما

انطلق رنين الهاتف من مكتب (بروس) ، مدير متحف الفن فى (أمستردام) ، فالتقط هو سمَّاعة الهاتف فى ضجر ، وهو يقول :

ـــ من المتحدِّث ؟

أتاه صوت (منى) عَبْرَ أسلاك الهاتف ، وهى تقول فى صوت مرتبك :

ـــ أنا أستاذة التاريخ القديم المصرية ، التى وقَّعت معك على رهـان السيِّديـن (فان ديك) و (شيلـــدون) هذا الصباح .

عقد (بروس) حاجبيه ، وهو يقول فى قلق :

ـــ مرحبًا بك يا سيِّدتى .. هل من خدمة يمكننى تقديمها ؟

ساد الصمت لحظة ، قبل أن تقول (منى) :

ـــ يؤسفنى أن أقول ذلك يا سيِّدى ، ولكنْ لدىَّ دليل قوى على أن (الفهد الأبيض) أثر مزيَّف .

اتسعت عينا (بروس) فى دهشة ، وفتـح فمـه لينطق بكلمة ما ، إلَّا أنه لم يستطع النطق بها إلَّا بعد أن ازدرد لعابه ، فجاءت حادَّة قوية ، وهو يقول :

ـــ ماذا تقولين يا سيِّدتى ؟

ثم لم يلبث أن خفَّض من صوته ، وهو يستطرد فى توتُّر :

ـــ إن (الفهد الأبيض) حقيقى ولا شكَّ ، وسيؤكِّد الخبراء فى الغد أنه .....

قاطعته فى توتُّر مشابه :

ـــ مهلًا يا سيِّدى .. لقد حصلت على هذا الدليل من السيِّد (فان ديك) نفسه .

فغر (بروس) فاه ، وهتف فى سخط :

ـــ مستحيل .. أهى محاولة للخداع يا سيِّدتى ؟

نقلت إليه أسلاك الهاتف زفرة قويَّة ، قبل أن تقول (منى) :

ـــ إننى أعذرك لشكوكك وغضبك يا سيِّدى ، فلقد كان من العسير علىَّ أيضًا أن أقبل ذلك ، حينما حاول السيِّد (فان ديك) أن يرشونى .

صاح (بروس) فى ذهول :

ـــ يرشُوك ؟!.. هذا مستحيل !!

أجابته فى غضب :

ـــ سيتبدَّل رأيك هذا حينما ترى الشيك الذى أعطانى إيَّاه ، والمبلغ المدوَّن فيه .

بذل (بروس) جهدًا ليتمالك أعصابه ، ويخفض من صوته ، وهو يقول فى عصبيَّة :

ـــ أريد أن أرى ذلك الشيك يا سيِّدى

أسرعت تجيب :

ـــ يمكنك رؤيته لو أنك حضرت إلى الفندق الذى أقيم فيه ، فى تمام التاسعة إلَّا الربع ، ولكن لا تتأخَّر ، فسأستقل طائرة العاشرة والربع إلى (باريس) .

تردَّد (بروس) لحظة ، وغمغم فى ارتباك :

ـــ ولكن موعد تبديل الحراسة فى التاسعة و .....

قاطعته فى حِدَّة :

ـــ هذا من شأنك وحدك يا سيِّد (بروس) .. أتريد رؤية الشيك أم لا ؟

ازدرد (بروس) لُعابه فى صعوبة ، وقال فى توتُّر :

ـــ سأحضر فى الموعد يا سيِّدتى ، وأرجو أن يستحق الموقف ما سأتجشَّمه من جهد .

أخبرته (منى) باسم الفندق ، ثم أسرعت تضع سمَّاعة الهاتف ، بعد أن حذَّرته بشدة ألا يخبر أحدًا بأمر لقائهما ، وابتسمت فى سخرية ، حتى أنها بدت أشبه بـ (أدهم) نفسه ، وهى تقول فى جذَل :

ـــ ها قد بدأت اللُّعبة .

* * *

٨ ــ مشاجرة ..

وقف الحارس (هاندل) يتطلع ، فى فخر واعتداد ، الى صورته المنعكسة على المرآة ، وهو يرتدى حُلَّته الرسمية الأنيقة ، المزدانة بالأزرار الذهبية اللامعة ، والتى تحمل على صدرها شعار متحف الفن فى (أمستردام) ، وانتفخت أوداجه ، وهو يتحسَّس مسدَّسه المعلَّق بحزام جلدى أنيق حول وسطه ، ثم عدَّل من وضع قبعته الرسمية ، وغادر منزله فى خُيَلاء ، متجهًا إلى مقر عمله الليلى فى متحف الفن ..

وجذب مظهر (هاندل) الأنيق انتباه المارة ، وهو يغادر منزله إلى سيارته الصغيرة ، التى تحمل أيضًا شعار متحف الفن ، وشعر هو بذلك ، فازداد شعوره بالفخر والخيلاء ، ولكنه لم يكد ينحنى ليدخل سيارته ، حتى ارتطم به رجل أحمر الشعر ، يرتدى سترة جلدية ، من ذلك النوع الذى يستخدمه ركَّاب الدرَّاجات البخارية ، فاختلَّ توازن (هاندل) من قوة الصدمة ، وسقط أرضًا إلى جوار سيارته الصغيرة ، مما فجَّر فى

أعماقه غيظًا هائلًا ، جعله يقفز واقفًا على قدميه ، وهو يصرخ فى وجه ذى الشعر الأحمر :

ــ أيها الغبىّ .. هل أنت أعمى ؟

حَدجَه الرجل بنظرة ساخرة ، وهو يقول فى استهتار واضح :

ــ هل سقطت كرامتك أرضًا أيها المهرِّج ؟

احتقن وجه (هاندل) غضبًا ، أمام ذلك الاستهتار الواضح فى كلمات الرجل ، فصاح فى حِدَّة :

ــ هل تحب أن أكسر انفك أيها الوقح ؟

ارتسمت ابتسامة ساخرة مثيرة على شفتى الرجل ، وقال فى تهكُّم ، وهو يعقد ساعديه أمام صدره فى تحد واستهتار :

ــ سيرُوق لى أن أراك تفعل ذلك أيها البلياتشو ، فأمثالك مرضى بنرجسية تجعلهم يتصوَّرون أنهم قادرون على هزيمة الجميع ، فى حين أنهم أضعف من باعوضة و .....

كان الاستفزاز أكبر مما يمكن أن يحتمله (هاندل) ، فدفع قبضته فى وجه ذى الشعر الأحمر ، وهو يصرخ فى ثورة :

ــ أيها الوغد .. من الخطإ أن تحتفظ بذراعيك معقودتين ، حينًا .....

بتر (هاندل) عبارته فجأة ، حينما حلّ الرجل ساعديه فى سرعة مذهلة ، ورفع اليسرى منهما ليتلقى عليها ضربة (هاندل) فى مهارة المحترفين ، ثم أطلق يمناه كالقنبلة فى وجه هذا الأخير ، فدفعه إلى الوراء بضعة أقدام ، قبل أن يسقط أرضًا ، ويتمزّق قميص حُلَّته الرسمية ..

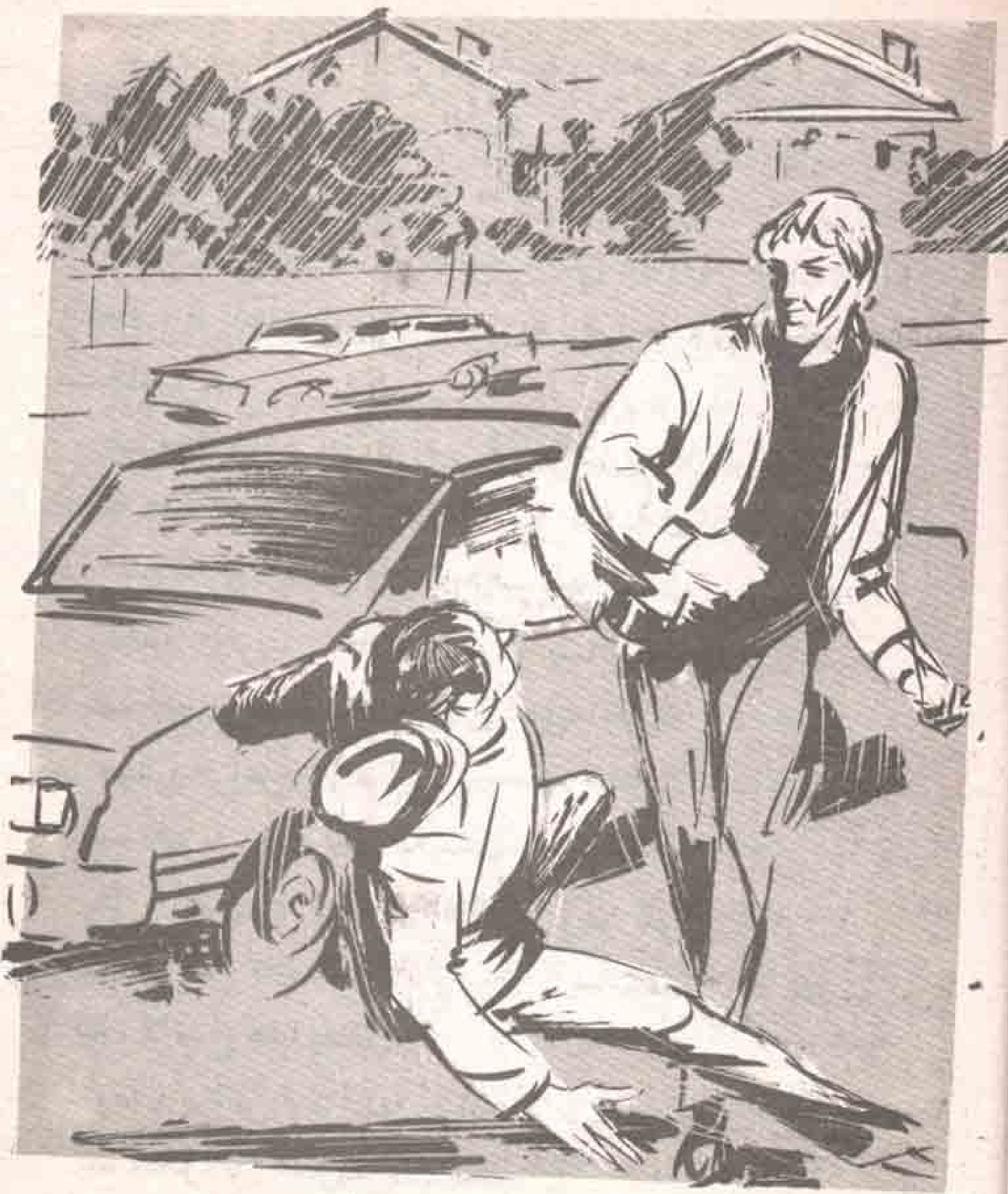
تطلّع (هاندل) إلى خصمه لحظة فى دهشة ، ثم ارتسم كل الغضب على ملامحه ، وهو يصرخ فى جنون :

ـ سأقتلك أيها الحقير .

وقفز فى مهارة نحو خصمه ذى الشعر الأحمر ، الذى استقبله بلكمة كالقنبلة ، حطّمت أنف (هاندل) المسكين ، ثم أعقبها بأخرى كالصاعقة ، ألقته فاقد الوعى ..

وفى سرعة مدهشة ، ابتعد ذو الشعر الأحمر فى خطوات أقرب إلى العدو ، دون أن يحاول أحد المارة منعه أو اعتراضه ، حتى قفز داخل سيارة قريبة ، وانطلق بها فى سرعة كبيرة ، ولم يكد يبتعد بالقدر الكافى حتى نزع باروكة الشعر الأحمر عن رأسه ، وغمغم فى أسف ، محادثًا نفسه :

ـ معذرة يا عزيزى (هاندل) ، لقد آلمنى كثيرًا أن أفتعل معك هذا الشجار ، ولكن ابتعادك عن عملك هذه الليلة جزء من خطّتنا .. تقبَّل أسفى يا عزيزى المسكين .



ثم أطلق يمناه كالقنبلة فى وجه هذا الأخير ، فدفعه إلى الوراء بضعة أقدام ، قبل أن يسقط أرضًا ..

وكان ذو الشعر الأحمر هو نفسه (أدهم صبرى) ، الذى بدأ خطة استعادة (الفهد الأبيض) .

* * *

تطلّع (بروس) إلى ساعته ، التى أشارت عقاربها إلى الثامنة ، ثم التفت إلى رئيس دورية الحراسة ، وقال فى لهجة متعجّلة :

ـ معذرة يا (ألفريد) .. لن يمكننى انتظار نوبة الحراسة الثالثة هذه الليلة ، فلدىَّ موعد بالغ الأهمية فى الطرف الآخر من المدينة ، ولا بدّ لى من الذهاب إليه .

عقد (ألفريد) حاجبيه ، وهو يسأله فى قلق :

ـ أهو موعد بالغ الأهمية إلى هذا الحد ؟

تنهّد (بروس) وهو يقول :

ـ نعم يا (ألفريد) للأسف .

هزَّ (ألفريد) كتفيه فى امتثال ، وهو يقول :

ـ لا بأس يا سيِّد (بروس) ، سأستقبل أنا النَّوبة التالية ، لا تدع هذا يقلقك .

أومأ (بروس) برأسه ، وقال فى صوت خافت :

ـ شكرًا يا (ألفريد) .. شكرًا .

كانت مكالمة (منى) تشغل ذهنه ، حتى أنه لم يشعر بالوقت الذى استغرقه وصوله إلى (فندقها) ، على الرغم من لهفته لمعرفة الدليل الذى تحمله ، ورؤية الشيك الذى تدّعى أن (فان ديك) قد حاول رشوتها به ..

وفى التاسعة إلا الربع تمامًا ، كان يدلف إلى بهو الفندق ، حيث استقبلته (منى) بابتسامة مرتبكة ، وهى تغمغم :

ـ يسعدنى حضورك يا سيِّد (بروس) ، فهذا الأمر يورثنى توتُّرًا هائلًا .

جلس على المقعد المجاور لها فى توتُّر ، وهو يقول :

ـ أين الشيك ؟

التقطت (منى) من حقيبتها ورقة مطوية ، ناولتها له ، فأسرع يفضها فى لهفة وعصبيَّة ، ولم يكد يفعل حتى شحب وجهه ، وغمغم فى ألم :

ـ يا إلهى !!.. إنه توقيع (ديك) حقًّا .

ثم أعاد الشيك إلى (منى) بأصابع مرتجفة ، وهو يغمغم فيما يشبه الانهيار :

ـ ولكن لماذا ؟.. لماذا يفعل (ديك) ذلك ؟

هزَّت (منى) كتفيها ، وهى تقول فى ارتباك ، نجحت فى تمثيله ببراعة رائعة :

— لست أدرى يا سيِّد (بروس) .. ولكننى أعتقد أنه يعلم أن تمثاله مزيَّف .

قلب (بروس) كفَّيه ، وهو يقول فى حَيْرة :

— ولكن الخبراء أكَّدوا .....

قاطعته فى توتُّر مفتعل :

— إنه مجرد افتراض يا سيِّد (بروس) .. ولكن ربَّما أمكنك أن تجد تفسيرًا آخر ، إذا ما أخبرتك بتفاصيل حديثى مع السيِّد (فان ديك) .

ثم بدأت تقص عليه ذلك الحديث الوهمى الطويل ، الذى لقَّنها إيَّاه (أدهم صبرى) ..

* * *

زفر (ألفريد) رئيس نوبة الحراسة فى غضب ، وهو يتطلَّع إلى ساعته ، التى أشارت عقاربها إلى التاسعة وعشر دقائق ، وصاح فى حَنَق :

— أين (هاندل) بحقِّ الشيطان ؟!.. إن التعليمات تؤكد ضرورة تواجده فى تمام التاسعة مساءً ، ولا تسمح له بالتخلُّف إلَّا إذا أبلغ عن ذلك ، فى السابعة والنصف على أقصى تقدير .

هزَّ أحد حرَّاس النوبة الثالثة ، التى تبدأ فى التاسعة مساءً ، كتفيه ، وهو يقول فى حَيْرَة :

— لست أدرى يا سيِّدى .. لقد تحدَّثت إليه فى الثامنة ، ولم يشر مطلقًا إلى أى احتمال لتغيُّبه .

صاح (ألفريد) فى ثورة :

— أين ذهب إذن ؟

لم يكد يتم عبارته ، حتى ارتفع صوت متلعثم أجش ، يقول فى ارتباك :

— سأقوم أنا بعمله يا سيِّدى .

التفت الجميع إلى مصدر الصوت فى دهشة ، فطالعهم رجل طويل القامة ، ضخم الجثة ، منتفخ الكرش على نحو مثير للدهشة ، يبدو الارتباك واضحًا فى ملامحه ، وهو يستطرد فى لهجة هولندية ركيكة :

— معذرة يا سيِّدى .. لقد أصيب الزميل (هاندل) فى أثناء شجاره مع شاب غريب ، ولن يمكنه الحضور ، وسأقوم أنا بعمله .

حَدجَهُ (ألفريد) بنظرة متشكِّكة ، شاركه فيها الجميع ، قبل أن يقول فى حِدَّة :

— من أنت يا رجل ؟ ومن الذى أرسلك ؟

غمغم الرجل فى تلعثم :

ــ إننى إنجليزى يا سيِّدى ، واسمى هو (ألكسندر) ، وأعمل هنا فى (أمستردام) فى وظيفة حارس محترف .. ولقد أرسلنى السيِّد (بروس) عندما .....

قاطعه (ألفريد) فى صرامة :

ــ أنت كاذب .. لقد كنت أتحدَّث مع السيد (بروس) قبيل انصرافه ، وهو لم يذكر كلمة واحدة عن أىّ حارس جديد .

غمغم (ألكسندر) فى ارتباك :

ــ ولكن يا سيِّدى .....

وقبل أن يتم عبارته ارتفع مسدس (ألفريد) فى وجهه ، وتردَّد فى المكان صوته الصارم الحازم ، وهو يهتف :

ــ ستعترف بالحقيقة أيها الرجل ، أو أفرغ مسدَّسى فى رأسك بلا تردُّد .. هيَّا .

* * *

٩ ــ فى قلب الهدف ..

شحب وجه (ألكسندر) فى شدَّة ، وهو يحدِّق فى فوَّهة مسدَّس (ألفريد) برعب هائل ، حتى لقد خُيِّل للحرَّاس الستة الآخرين ، أنه سيفقد وعيه من شدة ذعره ، قبل أن يلوِّح بكفِّه فى خوف ، وهو يهتف بصوت مختنق مرتجف :

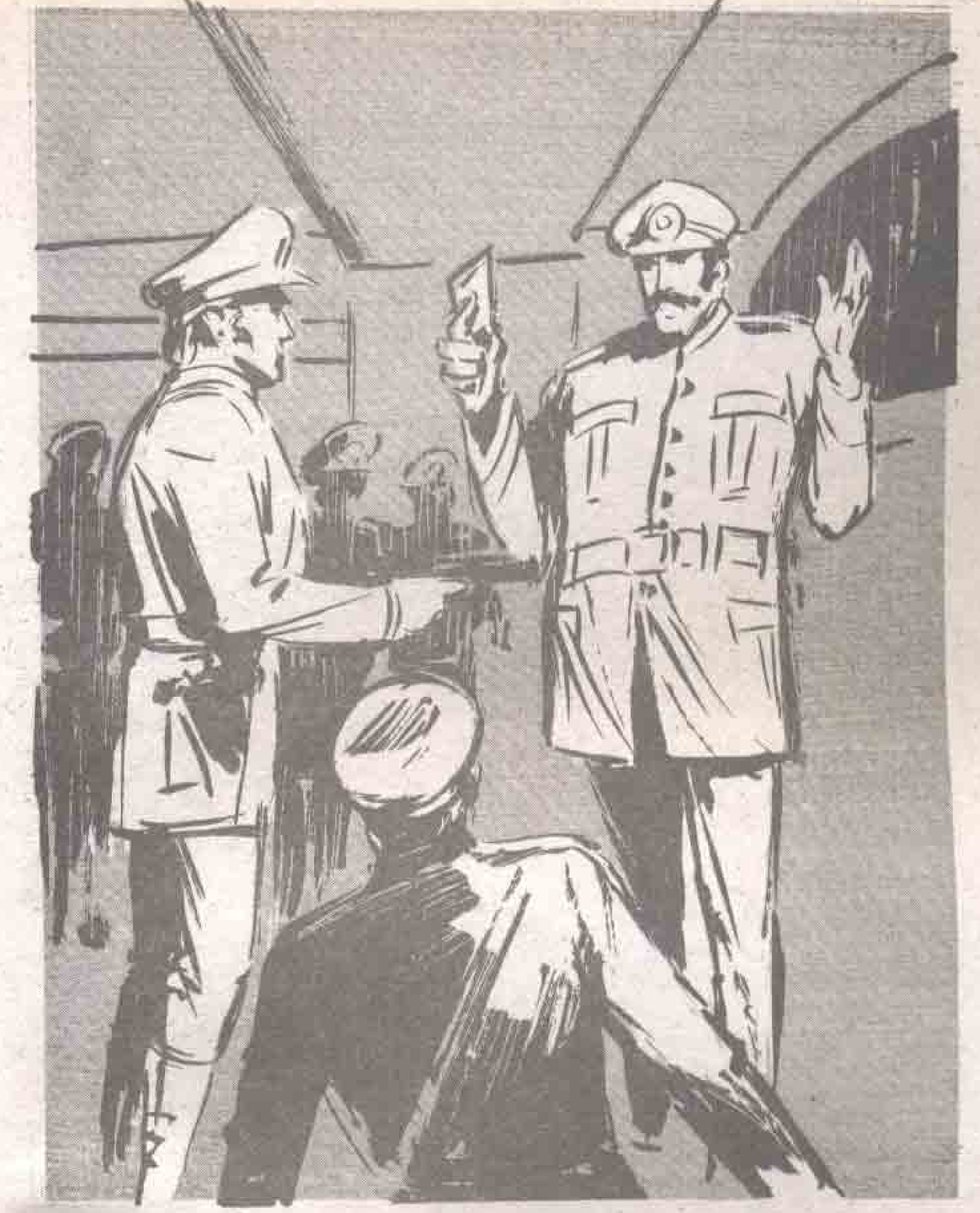
ــ إننى لا أكذب يا سيِّدى .. أُقسم لك إننى أقول الحقيقة ، ومعى تصريح رسمىّ ، موقَّع من السيِّد (بروس) شخصيًّا .

وأسرع يلتقط من جيب قميصه العلوىّ ورقة صغيرة ، ناولها لـ (ألفريد) ، وهو يهتف فى رُعب :

ــ هاهو ذا يا سيِّدى .. هاهو ذا .

التقط (ألفريد) الورقة فى حذر ، وقرأها فى اهتمام ، وتوقَّف لحظاتٍ أمام توقيع (بروس) الواضح ، الذى لا يقبل الشك ، ثم مطَّ شفتيه ، وقال دون أن يخفض فُوَّهة مسدَّسه :

ــ الأمر يحتاج إلى تأكيد مباشر ، من السيِّد (بروس) شخصيًّا .



شحب وجه (ألكسندر) فى شدَّة ، وهو يحدِّق فى فُوَّهة مسدَّس (ألفريد) برعب هائل ..

ثم استطرد مخاطبًا أحد الحرَّاس الستة فى حزم :

ـــ اتصل بالسيِّد (بروس) ، واطلب منه تأكيد أمر هذا الحارس .

أسرع الحارس يطيـــع الأوامـــر ، فى حين بدا صوت (ألكسندر) أقرب إلى البكاء ، وهو يقول :

ـــ أقسم لك .. إنها الحقيقة يا سيِّـــدى ، والزميـــل (هاندل) يعالج الآن فى مستشفى (جلدان) .. ويمكنك التأكُّد يا سيِّدى ..

عقد (ألفريد) حاجبيه فى شك ، وهو يقول :

ـــ ثِق أننى سأفعل أيُّها الرجل .

ثم استطرد فى حزم :

ـــ ولن تتولَّى عملك قبل أن أتأكَّد تمامًا ، أو ألقى القبض عليك .

* * *

خيَّم الصمت والظلام على حجرة (دافيد شيلدون) فى الفندق ، وبدت ساكنة هادئة ، بالنسبة للرجل الذى تسلَّل إليها فى حذر عبر نافذتها المفتوحة ، وتقدَّم بضع خطوات فى بطء ، وهو يحاول أن يكتم أنفاسه ، حتى لا يصدر عنه

ما يمكن أن يوقظ (شيلدون) النائم ، الذى بدا جسده تحت أغطيـــة فراشه ، على ذلك الضوء الخافت المتسلّـــل عَبْرَ النافذة ..

وفى هدوء وحذر ، صوَّب الرجل إلى جسد (شيلدون) فوَّهة مسدَّسه المزوَّد بكاتم للصوت ، ثم ضغط زناد المسدَّس ، وانبعث صوت ثلاث رصاصات متعاقبة مكتومة ، أصابت الجسد النائم ، ثم أسرع الرجل إلى النافذة ، وهبط منها فى رشاقة ومهارة إلى نافذة الحجرة التى تقع أسفلها مباشرة ، وقفز داخل الحجرة فى مرونة ، ثم نزع عن رأسه ذلك القناع الأسود الذى يخفى ملامحه ، فبدت على شفتيه ابتسامة تجمع ما بين الظفر والسخرية ، وهو يضغط أزرار الهاتف الملحق بالحجرة ، وينتظر حتى أتاه صوت محادثه ، ثم يقول فى هدوء :

ــ لقد انتهى الأمر يا سيِّد (فنسنت) .. نعم .. لقد نجحت .. ويمكنك إرسال باقة من الزهور إلى قبر السيِّد (شيلدون) فى الصباح .. نعم يا سيِّد (فنسنت) .. لقد مات ..

* * *

وقف (ألفريد) يتطلَّع إلى (ألكسندر) فى حَيْرَة ، ثم زفر فى قوَّة ، قبل أن يقول فى ارتباك :

ــ لست أدرى ماذا أفعل بشأنك أيها الرجل ؟!.. لقد تأكَّدنا من إصابة (هاندل) ، ولكننا لا نستطيع العثور على السيِّد (بروس) ، وأنت تحمل فى الوقت ذاته تصريحًا مذيَّلًا بتوقيعه .

هتف (ألكسندر) فى صوت مرتجف :

ــ إنه توقيعه يا سيِّدى .. أُقسم لك .

أومأ (ألفريد) برأسه موافقًا ، وهو يغمغم :

ــ نعم يا رجل .. ليس لدىَّ شك فى هذا ، فأنا أعرف توقيع السيِّد (بروس) كما أعرف صورتى فى المرآة .

وعاد يمطّ شفتيه للمرة المائة على الأقل ، قبل أن يعقد حاجبيه وكأنما استقر رأيه على قرار ، وقال فى حزم :

ــ هل تدرك طبيعة الحراسة هنا يا (ألكسندر) ؟

بدا الارتباك على وجه (ألكسندر) ، وهو يقول :

ــ ليس تمامًا يا سيِّدى .

تنهَّد (ألفريد) فى ضيق ، وهو يقول :

ــ يا إلهى !!.. لن يمكنك أبدًا أن تجوب المعرض ، وتفحص أجهزة الأمن المختلفة ، فهذا يحتاج إلى مران .

هزَّ كتفيه ، وهو يستطرد فى حزم :

ـ لن يمكنك القيام إلّا بالعمل التقليدىّ البسيط ، ستقوم على حراسة أحد أبواب قاعة (الفهد الأبيض) الأربعة ، وهو عمل لا يستلزم أقل خِبْرة ، فالأبواب تُغلق أوتوماتيكيًا فى العاشرة ، ولا يمكن فتحها قبل العاشرة صباحًا ، وكل ما عليك هو أن تحمل جهازًا لاسلكيًا صغيرًا ، وتقف أمام الباب حتى الثالثة صباحًا ، حينما تحضر نوبة الحراسة الرابعة لتسلّم عملها .. هل يمكنك القيام بذلك ؟

غمغم (ألكسندر) فى ارتباك :

ـ بالطبع يا سيِّدى .. بالطبع .

وبإشارة من يده ، أسرع أحد الحرَّاس يناول (ألكسندر) جهاز اللاسلكى الخاص به ، وهو يغمغم فى وُدّ :

ـ مرحبًا بك أيها الزميل .

وقال (ألفريد) فى صرامة :

ـ هيَّا .. كلٌّ إلى موقعه .

أسرع الحرَّاس إلى مواقعهم ، واتخذ (ألكسندر) موقعه أمام أحد أبواب القاعة الأربعة ، فى حين أخذ (ألفريد) يلقى أوامره ، قائلًا :

ـ ستُغلق أبواب القاعة بعد دقيقتين من الآن ،

وسأنصرف أنا بعد إغلاقها ، والتأكد من أن أجهزة الإنذار تعمل ، وسأعود مع السيِّد (بروس) فى التاسعة كالمعتاد ، حيث تُفتح الأبواب فى العاشرة ، وبالنسبة لدوريتكم ينتهى العملُ فى الثالثة صباحًا .. هل من أسئلة ؟

هزُّوا رءوسهم نفيًا ، فرفع ساعته إلى عينيه ، وعقد حاجبيه ، وهو يقول :

ـ استعدُّوا للحظة إغلاق الأبواب ، باقٍ من الزمن عشر ثوان .. تسع .. ثمان .. سبع .. ست .. خمس .. أربع .. ثلاث .. اثنين ..

وفجأة .. تعثَّر (ألكسندر) دون مبرِّر واضح ، وإن بدت عثرته طبيعية للغاية ، وانزلق بجسده الضخم وكرشه المنتفخة ، ليسقط داخل قاعة (الفهد الأبيض) ، وأطلق (ألفريد) صيحة تجمع ما بين الفزع والدهشة والتحذير ، فى نفس اللحظة التى هبطت فيها الأبواب أوتوماتيكيًا ، لتسجن (ألكسندر) داخل القاعة الزاخرة بوسائل الأمن ..

* * *

ساد ارتباك شديد بين فريق الحراس ، حينما أغلِقت الأبواب حول (ألكسندر) ، وصاح (ألفريد) فى ذعر :

ـــ ماذا فعلت أيها التعس؟.. الأبواب لن تفتح أبدًا قبل العاشرة صباحًا .

ثم أسرع يلتقط جهاز اللاسلكى الصغير ، ويهتف عَبْرَه فى توتُّر بالغ :

ـــ (ألكسندر) .. (ألكسندر) .. هل تسمعنى ؟

أتاه صوت (ألكسندر) مفعمًا بالفزع والذعر ، وهو يهتف عَبْرَ اللاسلكى :

ـــ إننى أسمعك يا سيِّدى .. ولكن ماذا أفعل ؟ إننى سجين هنا .

هتف (ألفريد) فى غضب :

ـــ أنت الذى أوقع بنفسه فى هذا المأزق السخيف أيها الغبىّ .

بدا صوت (ألكسندر) أقرب إلى البكاء ، وهو يقول :

ـــ أنا آسف يا سيِّدى .. لقد تعثَّرت قدماى ، ولكن ماذا أفعل؟

تنهَّد (ألفريد) فى سخط ، وقال :

ـــ ستضطر للانتظار هناك حتى العاشرة صباحًا أيها الأحمق ، ولكن حذار أن تقترب من التمثال الموضوع فى منتصف القاعة ، وإلَّا قلبت علينا (أمستردام) كلها .. هل تسمعنى ؟.. ابق فى ركن الحجرة ، ولا تقترب من التمثال أبدًا .

أتاه صوت (ألكسندر) يهتف فى ذُعر :

ـــ لن أفعل يا سيِّدى .. أُقسم لك إننى لن أفعل .

عقد (ألفريد) حاجبيه فى حَنَق بالغ ، والتفت إلى الحرَّاس الستة الآخرين ، يقول فى صرامة :

ـــ سيقضى هذا الأحمق ليلته سجينًا مع (الفهد الأبيض) ، واحرصوا على تنبيه أفراد الدوريَّة الرابعة إلى وجوده ، وحذار أن يعلم أحد بما حدث هنا ، وإلَّا فقدت إدارة المتحف ثقتها فى نظام الحراسة كله .

وعاد يَتنهَّد ، وهو يستطرد فى غضب :

ـــ ولست أدرى كيف سيمكننى إخفاء الأمر عن السيِّد (بروس) .. وكل هذا بسبب ذلك الحارس الغبى .

ولو قدِّر لـ (ألفريد) أن يرى وجه ذلك الحارس الغبى فى هذه اللحظة ، لجمدت الدماء فى عروقه ، فقد اختفت نظرة (ألكسندر) البلهاء ، وحلَّت محلها نظرة عابثة مستهترة ، تحمل نفس تلك السخرية المرتسمة على شفتيه ، وهو يغمغم فى صوت ثابت قوىّ :

ـــ هأنتذا فى قلب الهدف يا (أدهم) ، وأمامك الليل كله لاختراق وسائل الأمن المعقدة ، والحصول على (الفهد الأبيض) .

* * *

١٠ ـ السرقة الكبرى ..

وقف (أدهم) لحظة يتأمَّل القاعدة المرمرية السوداء ، و (الفهد الأبيض) الذى يستقر فوقها فى شموخ ، ثم نقَّل بصره إلى الخلايا الضوئية التى تحيط بالقاعدة المرمريّة ، والتى تتلقى الضوء من مصابيح صغيرة ، تصطف حول أسطوانة معدنية ترتفع إلى علوّ ثلاثة أمتار ، وتثبَّت إلى السقف بأربعة أعمدة معدنية رفيعة ، فى حين يبلغ سقف القاعة ستة أمتار على الأقل ..

وارتسمت ابتسامة جذلة ساخرة على شفتى (أدهم) ، وهو يغمغم فى حماس :

ـ يبدو أنها ستكون ليلة جميلة ، مُفعمة بالحركة والنشاط يا عزيزى (الفهد الأبيض) .

ثم أخذ ينزع قميص الحراسة فى همَّة ، ونزع عن بطنه تلك الكرش الصناعية الضخمة ، التى لم تكن إلَّا حقيبة كبيرة ، فتحها (أدهم) فى نشاط ، وأخرج منها لفة كبيرة من الحبال ،

وعددًا من الشفّاطات اللاصقة القوية ، وبكرة معدنية ، من ذلك النوع الذى يستخدم لحمل الأثقال ، وحقيبة أخرى متوسِّطة الحجم ، ثبّتها خلف ظهره فى إحكام ، ثم أخذ يثبِّت إحدى الشفاطات فى حائط القاعة ، حتى تأكَّد من ثباتها ، فوضع قدمه فوقها ، ومدَّ ذراعه عن آخرها ، وشرع يثبِّت أخرى فى مستوى أعلى ..

استغرق الأمر ما يقرب من الساعتين ، تصبَّب خلالهما عرق غزير من وجه (أدهم) ، الذى باتَ أشبه بعنكبوت حىّ ، كما أخبر (قدرى) من قبل ، وهو يصعد جدار القاعة بهذا الأسلوب البطىء المعقَّد .. إذ كان عليه أن يثبِّت شفاطتين فى أعلى مستوى تبلغه قبضتاه ، ثم يتعلَّق فى إحداهما ، وينتزع أخرى من أسفل قدمه ، ليثبّتها فى مستوى أعلى ، ويثبِّت فوقها قدمه ، ليرتفع إلى أعلى ، ويكرِّر العمل فى صبر وأناة ، حتى وصل إلى تلك النقطة التى يلتقى فيها السقف بالجدار ، وهنا كان عليه أن يتحوَّل إلى عنكبوت حقيقى ، فيثبِّت الشفاطات فى السقف ، وينتقل عَبْرَها ، وهو معلَّق من ذراعيه ، وظهره إلى أسفل ، كما لو كان يزحف فوق السقف ..

ولقد كان الأمر شاقًّا للغاية ، حتى بالنسبة لرجل يملك

عضلات فولاذية مثل (أدهم صبرى) ، ولكنه فى النهاية وصل إلى منتصف السقف ، حيث أصبح معلقًا بين الأعمدة الأربعة الرفيعة ، التى تحمل أسطوانة المصابيح ..

وأخرج (أدهم) لفّة الحبال ، وعقد طرفها فى الشفّاطة القوية ، ثم ثبّت الطرف الآخر فى خطّاف فولاذى قوىّ فى حزامه ، أعده خصيصًا لهذا الغرض ، وتعلّق بإحدى ذراعيه فى الشفّاطة المثبتة وسط الأعمدة الرفيعة ، وأخذ يثبّت أخرى على مقربة منها ، ثم أضاف إليها تلك البكرة المعدنية ، وتأكّد من قوتها ، قبل أن يمرّر لفّة الحبال فى الجزء الغائر من البكرة ، ويبدأ المرحلة الأخطر والأصعب من عملية السرقة ..

وفى بطء وحذر ، أخذ (أدهم) يهبط بواسطة الحبل القوىّ ، ليعبُر بجسده ذلك التجويف ، الذى يتوسّط أسطوانة المصابيح ، ثم ضمّ ركبتيه إلى صدره ، وارتفع بقدميه عاليًا ، بحيث أصبحت رأسه إلى أسفل ، وأخذ ينزلق بواسطة الحبل ، فى هذا الوضع المقلوب ، حتى وصل إلى سطح الغطاء الزجاجى ، الموضوع فوق (الفهد الأبيض) ..

كان بذلك قد اجتاز حاجز الخلايا الضوئية ، من الناحية التى أهملها مصمّم جهاز الأمن ..

من أعلى ..

وأصبح عليه الآن أن يرفع الغطاء الزجاجى ، المزوّد بجهاز إنذار كهربى ..

وفى هدوء وحذر ، أخرج (أدهم) من جعبته الشفّاطة الأخيرة ، وكانت من نوع خاص ؛ إذ أنها مكسوّة بطبقة مطاطيّة سميكة ، تجعلها عازلة للكهرباء ، وتمنع انطلاق أجهزة الإنذار ..

وفى هدوء وبراعة ، ثبّت (أدهم) الشفّاطة الأخيرة فى سطح الغطاء الزجاجى ، ثم أخذ يجذب الحبل فى هدوء ، وقوّة ، ليمرّ عَبْرَ البكرة المعدنية ، ويرفع ذلك الغطاء الزجاجى ، الذى يبلغ وزنه مائة كيلوجرام ..

وَكان عليه أن يفعل ذلك فى حذر بالغ ، حتى لا يتأرجح الغطاء الزجاجى ، فيعبُر فى تأرجحه حاجز الخلايا الضوئية ، ويطلق صفارات الإنذار ..

وارتفع الغطاء الزجاجى السميك الثقيل فى بطء ، وأخذ يرتفع .. ويرتفع .. و (أدهم) يجذب الحبل فى حذر وقوّة ..

وفجأة .. تصلّبت البكرة ، وانحشر الحبل فى ذلك الجزء

المرتفع منها ، وتوقَّفت حرَكته فجأة ، ورأى (أدهم) وهو فى ذلك الوضع المقلوب المعقَّد ، الغطاء الزجاجى ، وهو يبدأ تأرْجحه فى قوَّة ..

* * *

تقلَّب (قدرى) فى فراشه فى قلق ، وشعر أن النوم يعجز عن التسلُّل إلى جفونه ، على الرغم من الإرهاق الشديد الذى يشعر به ، فنهض من فراشه ، وخرج إلى رَدهة ذلك المنزل الأنيق ، الذى استأجرته المخابرات المصرية فى قلب (أمستردام) ، ولم تدهشه رؤية (منى) ، وهى تقف أمام نافذة الرَّدهة ، وتتطلَّع إلى السماء فى شرود ، فاقترب منها فى خطوات بطيئة ، ووقف إلى جوارها ، يشاركها التطلُّع إلى السماء ، وهو يغمغم :

ــ أنا أيضًا عجزت عن النوم .

تنهَّدت (منى) ، وقالت فى قلق واضح :

ــ تُرَى .. ماذا يفعل (أدهم) الآن يا (قدرى) ؟

تطلَّع (قدرى) إلى ساعته ، وغمغم فى خفوت :

ــ ما دامت صفارات الإنذار لم تنطلق فى متحف الفن ، فهذا يعنى أنه قد نجح فى مهمته .



وأصبح عليه الآن أن يرفع الغطاء الزجاجىّ ، المزوَّد بجهاز إنذار كهربى ..

تمتمت فى توتُّر :

ـ هذا لو أن الخطة سارت على ما يرام .

أراد (قدرى) أن يطمئنها بعبارة ما ، ولكن القلق الذى يشعر به فى أعماقه جعله يلزم الصمت ، فى حين استطردت هى فى خوف :

ـ كم أشعر بالرهبة ، كلما تذكَّرت أن خروج (أدهم) سالمًا من هذه العملية ، يعتمد تمامًا علينا يا (قدرى) .

غمغم (قدرى) :

ـ المهم أن ينجح فى مهمته يا (منى) .

تنهَّدت مرَّة أخرى ، وهى تقول :

ـ يا إلٰهى !!.. لقد اعتدت دائمًا أن يحمينى هو ، حتى أننى أشعر بالارتباك حينما أتصوَّر العكس .

ساد الصمت بينهما لحظة ، ثم غمغم (قدرى) فى صوت عميق :

ـ أنا واثق من أنه سينجح يا (منى) .. سينجح بإذن الله .

* * *

كانت مسألة جزء من الثانية ..

نعم .. كان النجاح الذى يتحدَّث عنه (قدرى) ، يتوقَّف فى هذه اللحظة بالذات على جزء من الثانية ..

ومن حسن الحظ أن (أدهم صبرى) كان من ذلك النوع النادر من البشر ، الذى يمكنه تقدير الموقف ، واتخاذ القرار المناسب فى شأنه ، وتنفيذه فى ذلك الجزء من الثانية ..

وفى سرعة تفُوق سرعة البرق ، تحرَّكت يد (أدهم) ، وأمسكت بالشَّفاطة المثبَّتة فوق سطح الغطاء الزجاجى ..

أمسكتها فى قوة وصلابة ، حتى أن الغطاء الزجاجى قد توقَّف عن التأرجح فورًا ، وكأنما أصابه الذعر من قوة وسرعة الرجل الذى ينتزعه من مكانه ..

وفى بطء وحذر شديدين ، ترك (أدهم) الغطاء ، بعد أن تأكَّد من ثباته ، وتنهَّد فى عمق ، وهو يغمغم :

ـ حذار أن تفعلها مرَّة أخرى أيها الغطاء اللعين ..

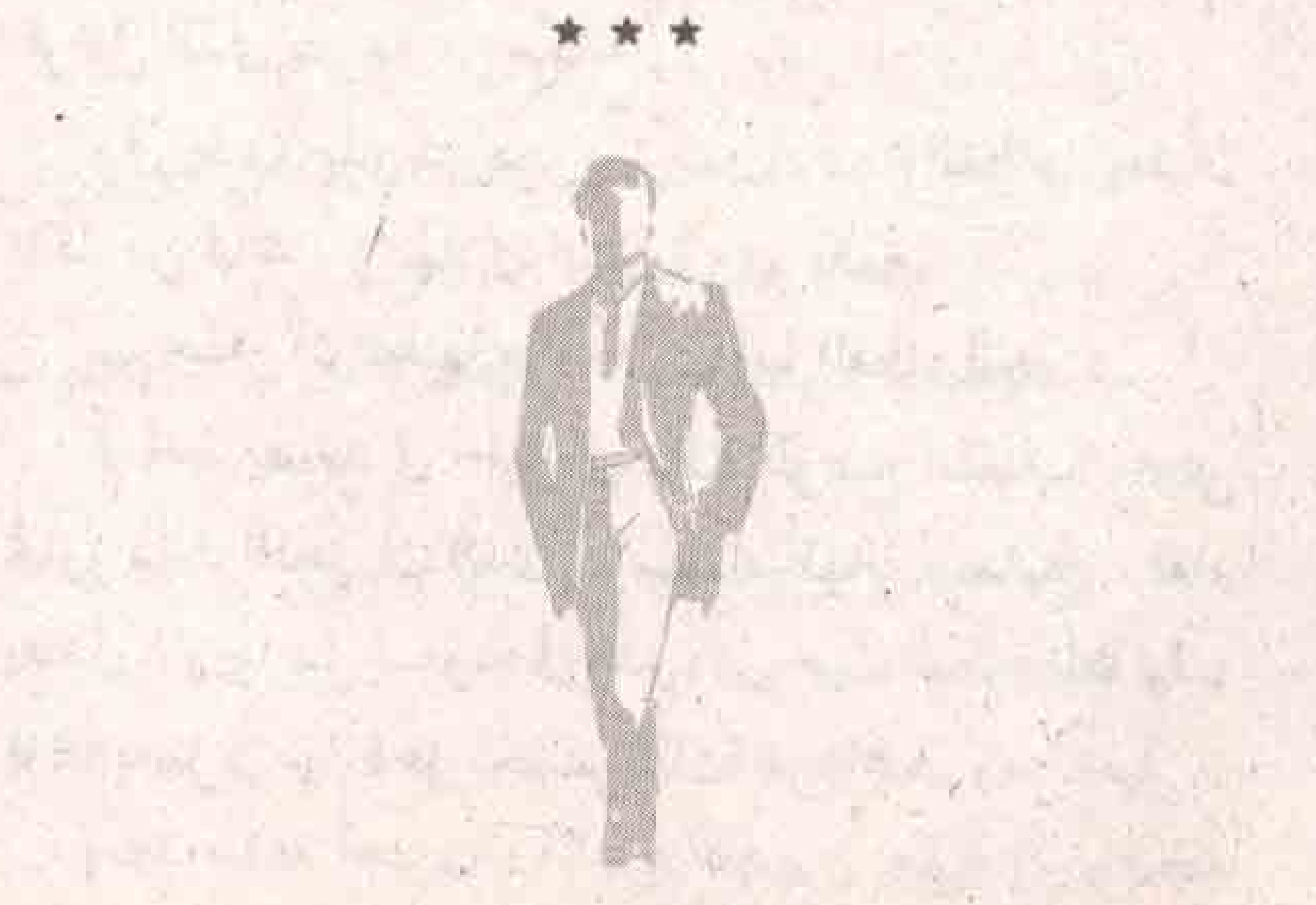
ثم أخذ يصعد فى الحبل فى ذلك الوضع المقلوب ، حتى تجاوز ذلك التجويف الذى يتوسَّط أسطوانة المصابيح ، فعاد يعتدل ، ويواصل صعوده فى هدوء إلى حيث البكرة المعدنية ، فأخذ يعمل فى مهارة على تخليص ذلك الجزء المحشور من الحبل ..

وبعد ساعة أخرى ، كان (أدهم) يعود إلى وضعه

المقلوب ، إلى جوار الغطاء الزجاجى ، الذى واصل ارتفاعه فى بطء وهدوء ، مع جذبات (أدهم) الحذرة ، إلى أن أصبح الفراغ الذى بينه وبين القاعدة المرمرية السوداء ، يسمح بالتقاط (الفهد الأبيض) ، فابتسم (أدهم) فى ارتياح ، وهو يقول :

— مرحبًا بك بين مواطنيك مرَّة أخرى ، أيُّها (الفهد الأبيض) .

* * *



١١ — الخروج من المصيدة ..

عَبَرَ (ألفريد) جموع روَّاد المعرض ، الذين ينتظرون فتح الأبواب ، فى خطوات سريعة ، وتجاوز الحارسين ، اللذين يقفان أمام البوَّابة الرئيسية ، وأسرع إلى القاعة الوسطى ، وسأل أحد الحرَّاس الواقفين على أبوابها الأربعة فى توتُّر :

— هل أخبركم زملاؤكم عن ذلك الحارس الغبىّ المحبوس فى الداخل ؟

أومأ الرجل برأسه فى احترام ، وقال :

— نعم يا سيِّدى .

تنهَّد (ألفريد) فى ضيق ، والتقط جهاز اللاسلكى ، وقال :

— (ألكسندر) .. هنا القائد (ألفريد) .. هل تسمعنى ؟

بدا صوت (أدهم) الذى ينتحل شخصية (ألكسندر) ، مجهدًا ، متوتِّرًا ، شاحبًا وهو يقول ، عَبْرَ جهاز اللاسلكى :

ـــ نعم أسمعك يا سيِّدى .

عقد (ألفريد) حاجبيه ، وهو يقول :

ـــ كيف حالك ؟

بدا صوت (أدهم) مرتجفًا بائسًا ، وهو يقول :

ـــ فى أسوإ حال يا سيِّدى .. لقد قضيت ليلة ليلاء .. ولكننى لم أقترب من التمثال يا سيِّدى .. أُقسم لك .

صاح ألفريد فى سخط :

ـــ أعلم أيها الغبىّ ، فلو أنك فعلت لانطلقت صفارات الإنذار كالقنابل .

كاد (أدهم) ينفجر بضحكة ساخرة ، وهو يقول فى صوت بائس .

ـــ بالطبع يا سيِّدى .. بالطبع .. ولكن متى سأغادر هذه المصيدة .

غمغم (ألفريد) فى حَنَق :

ـــ ما زالت أمامك ساعة ونصف ، قبل أن تُفتح الأبواب أوتوماتيكيًّا فى العاشرة ، وسيكون المتحف ـــ آنذاك ـــ مزدحمًا بالزوَّار ، وسيكون السيِّد (بروس) قد وصل ؛ لذا أريد منك أن تبدو مهندمًا ، متماسكًا ، وأن تقف أمام الباب

تمامًا ، بحيث تغادر القاعة فور فتح الأبواب ، وأرجو ألَّا يلاحظ السيِّد (بروس) أنك قد قضيت ليلتك هناك ، وإلَّا فقدنا عملنا جميعًا .

ابتسم (أدهم) ابتسامة خبيثة ، وهو يقول بنفس الصوت البائس :

ـــ من يدرى يا سيِّدى ؟.. ربّما حدثت المعجزة ، ولم يأت السيِّد (بروس) فى موعده .. ربّما ..

وكان هذا دور (قدرى) و (منى) ..

* * *

أخذ (بروس) يعقد رباط عنقه ، استعدادًا لذهابه إلى عمله ، وهو شارد الذهن ، مضعضع الحواس ، من أثر سهاده طيلة الليل ..

كان ذلك الموضوع الذى أثارته (منى) بشأن رشوة (فان ديك) لها ، يقلقه ، ويؤرقه كثيرًا ، فلو صدقت قصتها ، فسيعنى ذلك أن (الفهد الأبيض) تحفة مزيفة حقًّا ، ولكنها مصنوعة بمهارة وبراعة قادرتين على خداع الخبراء ، ولو تم كشف زيفها هذه المرَّة ، فستكون فضيحة كبيرة لـ (فان ديك) ، ولمتحف الفن فى آن واحد ..

وبينما كان يرتدى سترته ، ارتفع رنين هاتفه على نحو بدا له شديد الإزعاج ، حينما انتزعه من أفكاره وتساؤلاته ، فالتقط سمَّاعته ، وهو يقول فى ضيق :

ــ من المتحدِّث ؟..

أتاه صوت (منى) ، وهى تقول بنفس الصوت المرتجف ، الذى أصبحت تجيد أداءه :

إنه أنا يا سيِّد (بروس).. لدىَّ مشكلة جديدة تتعلَّق بـ ....

قاطعها (بروس) فى حِدَّة :

ــ مشاكلك لا تعنينى يا سيِّدتى ، فلدىَّ من المشاكل ما يكفى لغمر الأرض كلها .

هتفت فى إصرار :

ــ إنه دليل جديد يتعلَّق بزيف تحفة (فان ديك) و .....

عاد يقاطعها فى عصبيَّة :

ــ كفى يا سيِّدتى .. أرجوك .

ارتبك صوت (منى) على نحو طبيعى هذه المرَّة ، وهى تقول :

ــ ولكننى أريد مقابلتك الآن للضرورة القصوى يا سيِّدى و .....

فاجأها (بروس) بقوله :

ــ متى عدت من (باريس) يا سيِّدتى ؟

أجابته (منى) فى سرعة :

ــ لقد ألغيت سفرى يا سيِّدتى ، بسبب ما حدث ، ولو أنك قابلتنى الآن .....

قاطعها (بروس) فى حِدَّة غاضبة :

ــ آسف يا سيِّدتى .. إننى ذاهب إلى عملى فورًا ، ولست مستعدًّا لسماع أيَّة كلمة أخرى فى هذا الشأن ، وسنترك الحكم للخبراء ، هذا إذا أصرَّ السيِّد (شيلدون) على المضىّ فى موضوع الرِّهان ..

ثم أغلق السمَّاعة فى حِدَّة ، يمنعها من مواصلة الحديث ، فشحب وجه (منى) ، وهى تلتفت إلىٰ (قدرى) ، قائلةً فى توتُّر بالغ :

ــ يا إلٰهى !!.. إنه يرفض الحضور يا (قدرى) .. إنه يرفض اتخاذ الخطوة الحاسمة ، التى تساعد (أدهم) على الخروج من تلك المصيدة ، التى وضع نفسه فيها .. سنخسر المعركة يا (قدرى) .

ارتسم الغضب فى ملامح (قدرى) ، وقال فى صرامة :

— لا يا (منى) .. لن نخسر المعركة بعد أن وصلنا إلى هذا الحد .

ثم أسرع إلى باب المنزل ، فهتفت تسأله فى دهشة :

— ماذا تنوى أن تفعل ؟

التفت إليها ، قائلًا فى حزم :

— سأستغل عدم مقابلتى لـ (بروس) هذا ، حتى هذه اللحظة يا (منى) ، وسأمنعه من الذهاب إلى المتحف ، مهما كان الثمن ، وإلّا بقى (أدهم) فى المصيدة .

* * *





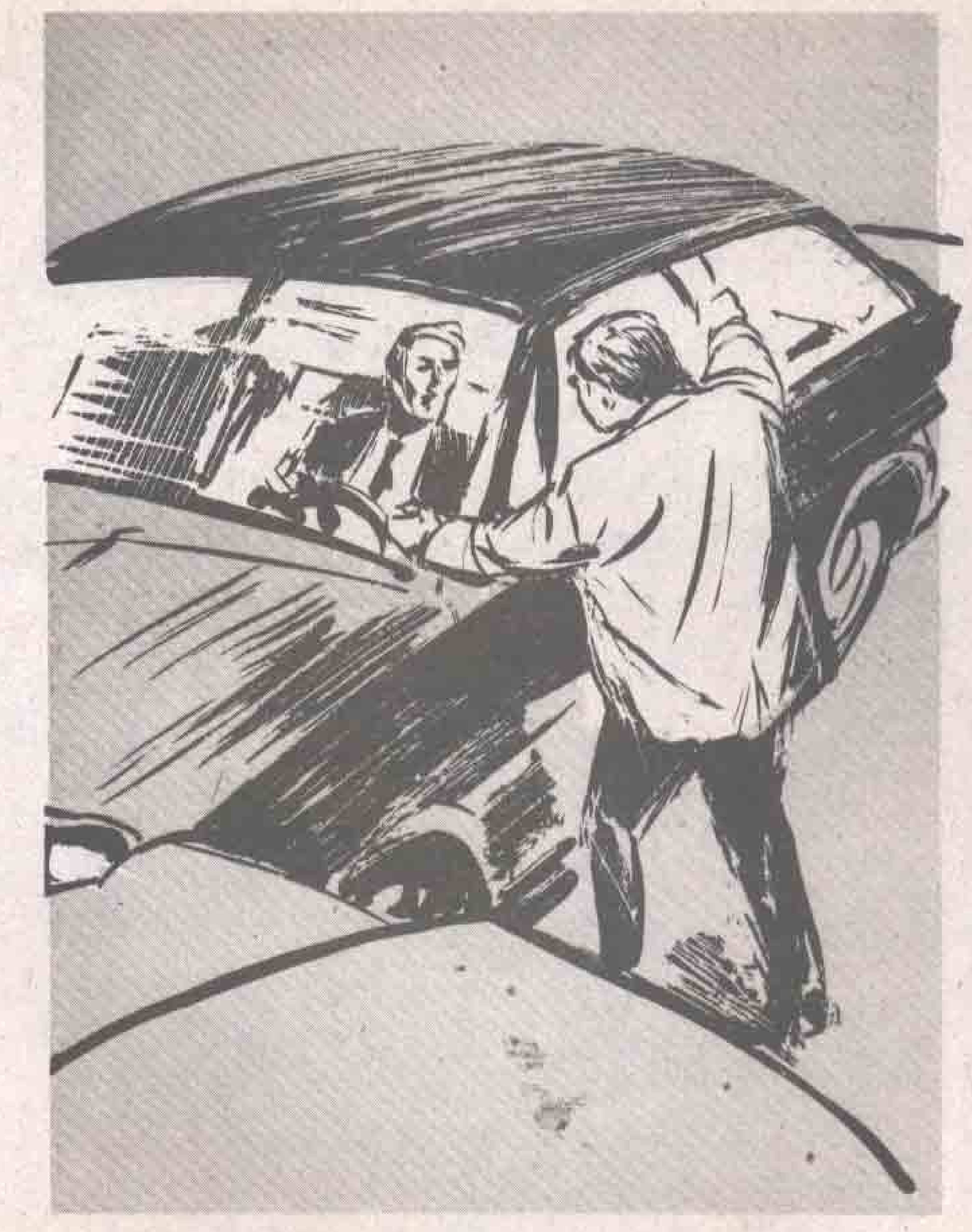
١٢ — المحاولة الأخيرة ..

أدار (بروس) محرِّك سيارته فى عجلة ، وهو يشعر بالقلق لتأخره عن الذهاب إلى عمله حتى هذه اللحظة ، وأخذ يلعن (منى) ، ومكالمتها الطويلة ، التى أخَّرته عشر دقائق كاملة ، وقرَّر أن يقود سيارته بأقصى سرعة يسمح بها القانون ، حتى يصل إلى عمله فى التاسعة تمامًا ، كعادته منذ تقلَّد منصب مدير متحف الفن ..

ولم تكد عجلات السيارة تتحرَّك ، حتى اندفعت نحوها فجأة سيارة أنيقة ، وارتطمت بمقدِّمتها فى قوَّة ، وقبل أن يتلاشى أثر الارتطام المفاجئ مع دهشة (بروس) ، قفز (قدرى) بجسده الضخم من سيارته ، واندفع نحو (بروس) ، صارخًا فى غضب :

— أيها الغبىّ الأحمق .. كان ينبغى أن تنتظر حتى أعْبُر بسيارتى أولًا .

كان من الواضح ، نظرًا للإنجليزية الركيكة التى يتحدَّث بها (قدرى) ، أنه أجنبى ، فصاح فيه (بروس) فى غضب :



قفز (قدرى) بجسده الضخم من سيارته ، واندفع نحو (بروس)، صارخًا فى غضب : ــ أيها الغبى الأحمق ..

ــ أنت المخطئ أيها البدين الوقح ، فأنا واثق من أن قواعد المرور لاتختلف كثيرًا هنا ، عن تلك التى فى موطنك .

جذبه (قدرى) خارج سيارته فى عنف ، وهو يقول :

ــ مختلفة أو غير مختلفة .. ستدفع ثمن الأضرار فورًا .

دفع (بروس) قبضة (قدرى) التى تمسك سترته فى حِدَّة ، وهو يقول فى غضب :

ــ سيقرِّر القانون أينا المخطئ يا رجل .. وأينا الذى ينبغى أن يدفع خسائر الآخر ، ولكننى مضطر للانصراف الآن ، وسأترك لك بطاقتى كما يفعل السادة و .....

اختطف (قدرى) بطاقة (بروس) ، ومزَّقها فى حِدَّة ، وألقى بها فى وجْهه ، وهو يقول فى غضب :

ــ فليذهب كل شىء إلى الجحيم .. إنك لن تنصرف من هنا إلا بعد أن تدفع ثمن الأضرار ، حتى ولو بقينا نتشاجر حتى العاشرة .

* * *

بدا الاضطراب واضحًا على وجه (فان ديك) ، حينما توقَّفت السيارة التى تقلُّه مع (فنسنت) أمام متحف الفن ، فعقد (فنسنت) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ــ ارسم ابتسامة واثقة على شفتيك يا (ديك) ، وواجه الجمهور والصحفيين فى ثقة واعتداد ، فلن تخسر رهانك أبدًا .

سأله (فان ديك) فى صوت مرتجف :

ــ هل أنت واثق من أنَّ (شيلدون) لن .....؟

قاطعه (فنسنت) فى حِدَّة :

ــ إنه لن يحضر أبدًا يا (ديك) ، فقد لقى مصرعه .. هل تفهم ؟.. لن يتم إعادة فحص تحفتك أبدًا ، ما دام الطرف الآخر للرهان لم يعد حيًّا .

بدأت دماء الحياة تعود تدريجيًّا إلى وجه (فان ديك) ، فى حين واصل (فنسنت) حديثه فى صرامة :

ــ هيَّا .. واجه الجميع فى ثقة .. لقد ربحنا المعركة يا صديقى .

* * *

أشارت عقارب الساعة إلى التاسعة والنصف ، وازدحم المعرض بالزوَّار ، الذين التفوا حول (فان ديك) ، يوجِّهون إليه أسئلتهم ، وهو يجيب عنها فى ثقة وهدوء ، بعد أن نجح (فنسنت) فى محو الاضطراب من أعماقه ، فى حين بدا

(ألفريد) شديد التوتُّر والقلق ، وهو يغمغم فى صوت خافت :

ــ لقد تأخر السيِّد (بروس) لأول مرَّة فى حياته .. يبدو أن المعجزة التى تحدَّث عنها (ألكسندر) ستتحقَّق .

لم يكد يتم غمغمته ، حتى أسرع إليه أحد الحرَّاس ، يقول فى اهتمام :

ــ السيِّد (بروس) يطلب التحدُّث إليك يا سيِّدى .

غارت الدماء من وجه (ألفريد) ، وهو يغمغم فى ذُعر :

ــ هل .. هل وصل ؟

واستعاد وجهه دماءه ، حينما أجابه الحارس :

ــ كلَّا يا سيِّدى .. إنه يتحدَّث هاتفيًّا ، ويبدو أن شيئًا ما يعُوقه عن الوصول .

تهلَّلت أسارير (ألفريد) ، وهو يسرع إلى الهاتف ، ويلتقط سمَّاعته هاتفًا :

ــ هنا (ألفريد) يا سيِّد (بروس) .

أتاه صوت (بروس) يقول فى ضيق :

ــ معذرةً يا (ألفريد) .. لم يمكننى الوصول فى موعدى ، فقد تلقَّيت مكالمة سخيفة فى الصباح ، ثم ارتطم

بسيارتى رجل بدين ، وأصرّ على أننى المخطئ ، ولم يسمح لى بالانصراف قبل وصول رجال الشرطة ، ومن العجيب أنه قد ازداد تلعثمًا فى الحديث ، حتى أنه يحاول شرح الأمر لهم ، أو فهم حديثهم إليه منذ ثلث الساعة .. وأعتقد أننى لن أنجح فى الوصول قبل فتح الأبواب يا (ألفريد) .

لَمْ يَسْمع (ألفريد) فى الواقع إلّا العبارة الأخيرة ، التى أثلجت صدره ، وألقت الارتياح فى أعماقه ، فهتف فى حماس :

ـ لا عليك يا سيِّد (بروس) .. سأتولّى العمل لحين وصولك .

تنهَّد (بروس) فى ارتياح ، وقال :

ـ شكرًا يا (ألفريد) .. شكرًا .. هل كل شىء على ما يرام ؟

ابتسم (ألفريد) ابتسامة واسعة ، وهو يقول فى ارتياح :

ـ نعم يا سيِّدى .. كل شىء على ما يرام .

ولكنه لم يكد يضع سمّاعة الهاتف ، حتى تسلّل شك مفاجئ إلى أعماقه ..

كيف اتفق أن اجتمعت كل هذه المصادفات دفعة واحدة ؟..

إصابة (هانـدل) فى شجار .. وصول ذلك الحارس الأحمق .. عدم تواجد (بروس) فى منزله لسؤاله عنه .. تعثُّر الحارس الجديد ، وسقوطه داخل قاعة (الفهد الأبيض) ، فى لحظة إغلاق الأبواب بالذات .. عدم وصول (بروس) فى موعده لأول مرَّة فى حياته ..

بدت تلك المصادفات عجيبة للغاية ، ومنمَّقة فى إحكام ، حتى لتبدو على شكل خُطَّة شديدة التعقيد ..

واتسعت عينا (ألفريد) فى ذُعر وهلع ..

إنها خُطَّة ولا شكّ ..

خُطَّة لسرقة (الفهد الأبيض) ..

ولكنها فشلت بالتأكيد ، لأنه لم يسمع صفارات الإنذار وهى تنطلق ..

ولكن هذا الخاطر الجديد لم يمنع الشك الذى سيطر على أعماقه ، حتى أنه تحسَّس مسدسه فى صرامة ، وقرَّر أن يكون أول من يواجه الحارس الجديد ، فى أثناء مغادرته القاعة ، وقرَّر أن يطلق عليه النار بلا تردُّد ، لو لم يجد (الفهد الأبيض) فى مكانه ..

ومرَّت الدقائق بطيئة ثقيلة بالنسبة إليه ، حتى سمع صوت (فان ديك) يقول :

ـــ والآن ايها السادة ، ستشاهدون تحفة العصر .. ستُفْتح الأبواب بعد خمس ثوان فقط ..

وتوترت عضلات (ألفريد) ، وأمسك مقبض مسدَّسه فى إحكام ، حتى أعلنت الساعة الكبيرة فى القاعة تمام العاشرة ، وارتفع الصوت المعدنى الرنَّان ، مع ارتفاع الأبواب ، وكاد (ألفريد) ينتزع مسدَّسه ، ويطلقه على رأس (أدهم) ، الذى بدا شاحبًا ، وهو يغادر القاعة فى سرعة ، فى زِىّ (ألكسندر) ، ولكنه لم يلبث أن أعاد مسدَّسه إلى غِمْده ، وهو يتنفس الصُّعَداء ، فقد كان (الفهد الأبيض) يستقر على قاعدته فى سلام ..

* * *

أسرع (ألفريد) إلى (أدهم) ، وصافحه فى حرارة أثارت دهشته ، وهو يقول فى ارتياح :

ـــ هل أنت بخير يا (ألكسندر) ؟

تظاهر (أدهم) بالشحوب والدُّوار ، وهو يقول :

ـــ لا يا سيِّدى .. إننى أكاد أسقط من فرط التوتُّر والإرهاق .

ربَّت (ألفريد) على كتفه فى حرارة ، وهو يقول :

ـــ لا عليك يا (ألكسندر) .. عُدْ إلى منزلك ، وحاول أن تحصل على قدر كافٍ من النوم والراحة .

ثم انحنى نحوه ، وهو يقول :

ـــ وليس من الضرورى أن يعلم السيِّد (بروس) بما حدث ، وإلَّا فقد الثقة فى جهاز حراسة المتحف .. أليس كذلك ؟

ابتسم (أدهم) فى هدوء ، وهو يقول :

ـــ بالطبع يا سيِّدى .. بالطبع .. لن يعلم السيِّد (بروس) أبدًا .

عاد (ألفريد) يصافحه فى ارتياح ، وتركه يغادر المتحف فى هدوء ، فى حين استدار هو يتأمل (الفهد الأبيض) الذى استقرَّ على قاعدته فى ثبات ..

* * *



١٣ ــ الرِّهان ..

لم ينجح (بروس) فى الوصول إلى المتحف ، قبل العاشرة والنصف وخمس دقائق ، ولقد استقبله (فان ديك) هاتفًا :

ــ أين كنت يا سيِّد (بروس) ؟.. إننا ننتظرك منذ التاسعة .

تنهَّد (بروس) ، وهو يقول :

ــ لقد أعاقنى ارتطام سيارة أجنبى بسيارتى ، ولقد استغرق الأمر ما يقرب من الساعة ، قبل أن يعترف بخطئه ، ويدفع نفقات إصلاح السيارة ، بل إنه دفع فى الواقع ما يفُوق ذلك .

ثم تلفَّت حوله ، وهو يسأل فى قلق :

ــ ألم يصل السيِّد (شيلدون) بعد ؟

ابتسم (فان ديك) فى ثقة ، وهو يقول :

ــ إنه لن يصل أبدًا يا سيِّد (بروس) ، فهو يعلم أنه سيخسر الرِّهان ، والخبراء هنا يؤكدون ذلك .

زفر (بروس) فى ارتياح ، فقد بدا له أنَّ تأخُر (شيلدون)

دليل على خطإ القصة ، التى روتها له (منى) أمس ، وقال فى ارتياح واضح :

ــ بالتأكيد يا سيِّد (فان ديك) .. إنه لن يحضر .

وفجأة .. انطلق صوت (أدهم) الساخر يقول :

ــ من قال هذا ؟.

التمعت مصابيح التصوير ، وهى تلتقط صورة (أدهم) ، بعد أن شاع أمر ذلك الرهان ، وازدحم المكان بزوَّار المتحف ، الذين يريدون حضور هذه المناظرة ، فى حين اتسعت عينا (بروس) فى ذُعر ، وارتسم الرعب والدهشة على وجه (فان ديك) ، وصاح (فنسنت) فى ذهول :

ــ مستحيل !!

تقدَّم (أدهم) وهو فى شخصية (شيلدون) من (فنسنت) ، وابتسم فى سخرية ، وهو يقول فى برود :

ــ لماذا مستحيل يا سيِّد (فنسنت) ؟

ارتبك (فنسنت) ، وشحب وجهه ، وهو يغمغم :

ــ لأن .. لأن .....

عاد (أدهم) يقول بنفس البرود الساخر :

ــ اطمئن يا سيِّد (فنسنت) .. لقد قضيت ليلة هادئة فى

فراشى ، حتى أكون مستعدًا للحضور فى الموعد ، وكشف زيف ذلك (الفهد الأبيض) .

حدَّق (فنسنت) فى وجهه بذهول ، وهو يقول :

ــ فى فراشك ؟!

أجابه (أدهم) فى سخرية :

ــ بالطبع يا عزيزى .. فى فراشى .

ثم مال نحوه ، وتألَّقت عيناه ببريق عابث ، وهو يقول :

ــ هل كنت تتوقَّع أن أختبئ فى مكان آخر ، وأترك الوسادة بدلًا منِّى تحت أغطية الفراش مثلًا ؟.. إننى لا أفعل ذلك بالطبع ، إلَّا إذا كنت أتوقع إصابتى بثلاث رصاصات ، من مسدَّس كاتم للصوت ، وهذا لا يحدث إلا فى الأفلام السينمائية يا سيِّد (فنسنت) .

ازداد شحوب وجه (فنسنت) ، وقد فهم ما يرمى إليه (أدهم) ، فأطرق برأسه ، وهو يغمغم فى انهيار :

ــ بالطبع يا سيِّد (شيلدون) .. إنك لن تفعل ذلك .

تألَّقت ابتسامة (أدهم) فوق شفتيه ، وهو يرفع رأسه إلى الصحفيين والزوَّار ، قائلًا فى هدوء :

ــ والآن .. فلنفحص (الفهد الأبيض) أيها السادة .

* * *

« إنه زائف » ..

نطق كبير الخبراء بهذه الكلمة فى أسف واضح ، وهو يعيد تمثال (الفهد الأبيض) إلى (بروس) ، الذى شحب وجهه ، والتفت فى عصبيَّة إلى حيث يقف (فان ديك) ، الذى بدا أشبه بالموتى ، فى حين ارتسمت ابتسامة ظافرة ، ساخرة على شفتى (أدهم) ، وساد الهرج بين الزوَّار والصحفيين ، مع التماع مصابيح التصوير ، وصاح (بروس) فى غضب :

ــ أنت محتال يا سيِّد (ديك) .. محتال وسارق ، وأنا أطالبك بردِّ المليونى دولار ، وبتعويض ضخم على المهانة التى أصبت بها المتحف .

هتف (فان ديك) فى صوت شاحب :

ــ ولكن هذا مستحيل .. إنه تمثال آخر ولا شك .

ثم تذكَّر فجأة نقطة هامَّة ، فصاح فى أمل :

ــ نعم .. إنه تمثال آخر .. لقد تمَّ إبدال تحفتى .. ستتأكَّدون من ذلك حينما تفحصون باطن القدم الأمامية اليسرى ، فلو كان هذا هو التمثال الأصلىّ ، فستجدون هناك تجويفًا صغيرًا للغاية .

احتبست أنفاس الجميع ، حينما عاد كبير الخبراء يلتقط التمثال من يدى (بزوس) ، ويقلبه ليفحص باطن القدم الأمامية اليسرى له فى إمعان ، ثم لم يلبث أن قلَّب شفته السفلى فى أسف ، وهو يقول :

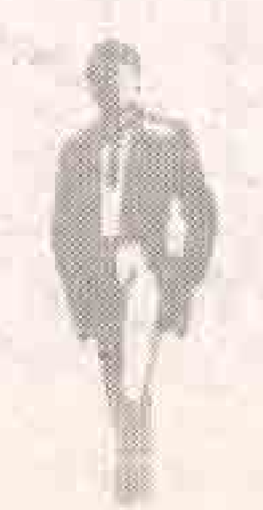
ـ هاهو ذا التجويف يا سيِّد (فان ديك) .. إنه تمثالك .. وهو مزيَّف للأسف ..

انهار (فان ديك) تمامًا ، وأخذ يبكى وينتحب فى حرارة ويأس ، فى حين ابتسم (أدهم) فى ظفر ، وهو يقول فى برود :

ـ لقد كانت محاولة فاشلة يا سيِّد (فان ديك) .. لا مفرّ أمامك من الاعتراف .. لقد خسرت كل شىء حينما خسرت هذا الرِّهان ..

وعادت مصابيح آلات التصوير تلتمع فى قوَّة ..

* * *



١٤ ـ الختام ..

لم يكن خبر زيف (الفهد الأبيض) قد انتشر بعد ، حينما اتسعت عينا موظف الجمارك فى مطار (أمستردام) ، وهو يحدِّق فى تمثال (الفهد الأبيض) ، الذى يستقرّ فى حقيبة (أدهم) ، ويهتف فى دهشة وفزع :

ـ يا للشيطان !!.. (الفهد الأبيض) ؟؟

ثم رفع عينيه إلى (أدهم) ، وهو يقول فى حِدَّة :

ـ هل كنت تتصوَّر أنك ستنجح فى تهريب تلك التحفة الأثرية النادرة من هنا ؟.. ولكن كيف نجحت فى الحصول عليها ؟

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول فى سخرية :

ـ ألم تستمع إلى نشرة الأنباء أيها الرجل ؟.. لقد أثبت الخبراء أن (الفهد الأبيض) الموجود فى متحف الفن مزيَّف .

عقد موظف الجمارك حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ لا تحاول خداعى يا رجل ..

هزَّ (أدهم) كتفيه فى لامبالاة ، وهو يقول :

ـ ولماذا أحاول ؟.. إن الذى تراه أمامك نسخة مقلَّدة ، تباع بمائتى فلورين فقط ، فى قلب السوق التجارية بـ (أمستردام) .

عقد الموظف حاجبيه فى شكٍّ ، وهو يغمغم :

ـ نسخة مقلَّدة ؟!

التفتت (منى) إليه ، وهى تقول فى هدوء :

ـ هذا صحيح .. ولقد ابتعت أنا أيضًا واحدة .

وفتحت حقيبتها أمام الموظف ، الذى تطلَّع فى دهشة إلى تمثال (الفهد الأبيض) ، الذى يستقر فيها ، وقبل أن ينطق بكلمة واحدة تعبِّر عن دهشته ، فتح (قدرى) حقيبته بدوره ، وهو يقول :

ـ وأنا أيضًا .

نقَّل الموظف بصره فى حَيْرَة بين التماثيل الثلاثة ، ثم تنحنح وهو يغمغم :

ـ معذرة أيها السادة .. إننى لم أكن أعلم أن النسخ المقلَّدة لـ (الفهد الأبيض) قد انتشرت إلى هذا الحد .

ابتسم (أدهم) وهو يغلق حقيبته ، قائلًا :

ـ لا عليك أيها الرجل .. لقد قضينا إجازة ممتعة هنا ، فى (أمستردام) .

* * *

استسلم (قدرى) لنوم عميق ، حينما حلَّقت الطائرة فى طريقها إلى (القاهرة) ، وابتسمت (منى) فى سعادة ، وهى تقول لـ (أدهم) :

ـ لقد أثبتَّ عبقرية فذَّة فى عالم السرقة يا (أدهم) ، وفى عالم الاحتيال أيضًا ، فقد كانت خُطَّتك المزدوجة للحصول على (الفهد الأبيض) ، وتحطيم (فان ديك) رائعة للغاية ودقيقة إلى حدٍّ مثير للإعجاب .

ربَّت (أدهم) على كفِّها ، وهو يقول :

ـ لقد أديت أنت و (قدرى) دوريكما ببراعة وإتقان أيضًا يا عزيزتى ، ولولاكما ما أمكننا استعادة (الفهد الأبيض) ، ووضع ذلك التمثال المزيَّف بدلًا منه .

ضحكت (منى) ، وهى تقول :

ـ كم كنت أتمنى رؤية وجه (فان ديك) ، حينما أخبره الخبراء أن تمثاله مزيَّف .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

— لقد عامله (شيلدون) بشهامة على أيّة حال ، ورفض أن يتقاضى قيمة الرّهان ، بعد أن خسر (فان ديك) سمعته .

عادت تضحك فى مرح ، وهى تقول :

— يا للشهامـــة !!.. وهـــل نسيت يا عزيـــزى (شيلدون) ، أننى قد سحبت رصيده كله من البنك ، بواسطة الشيك الآخر ، الذى زوَّره (قدرى) ، وأننا قد سلَّمنا المليونى دولار لسفارتنا فى (أمستردام) ، لنقلها إلى مصر فى الحقيبة الدبلوماسية .

هزَّ (أدهم) كتفيه فى لامبالاة ، وهو يقول :

— على الباغى تدور الدوائر يا (منى) .

ساد الصمت بينهما لحظة ، ثم هتفت (منى) فى حماس :

— ما رأيك أن نحاول أيضًا استعادة (رأس نفرتيتى) من متحف (برلين) و ..... ؟

قاطعها ضاحكًا :

— يا إلهى !!.. هل قرَّرت التحوُّل إلى سارقة محترفة يا (منى) ؟

تورَّد وجهها فى خجل ، فى حين ابتسم هو فى ارتياح ، وهو يقول :

— سيحين وقت ذلك فيما بعد يا (منى) ، أما الآن فيكفينا أننا استعدنا تحفتنا ، وانتهت بنجاح عملية (الفهد الأبيض) .

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٣٦١٩

